ملف خاص
ستمبر 2022

مواطن

muwatin.net

حوار مع جمانة حداد

حول الحرية والجنس والسياسة..

الجنس رؤية نسوية

كيف تفهم النساء الجنس بعيدا عن الرجال؟

فرجي ليس مسبة

قراءة في تاريخ الإهانة عبر الشتائم الجنسية

الثقافة الجنسية

في عالمنا العربي ودهاليزها المظلمة

ملـــف خـــاص صـــادر عـــن
شبكـة مـــواطن الإعلاميـــة
مـــا بعـــد الخطوط الحمـــراء
نرصد أحداث المجتمـع ونهتم
بقضـايا المواطن في الخليج
والعالم العربي

المكلة المتحدة - لندن

للتواصل: Contact@muwatin.net

المدير التنفيذي رئيس التحرير

محمد الفزاري

الفهـــــــرس

1 | **تأشـــــــيـرة**
الجنسانية والمجتمع الذكوري

4 | **حوار مع فيان عزيز**
الثقافة الجنسية في عالمنا العربي ودهاليـــزها المظلمة

14 | **آراء : محمد سميح**
الجنس رؤية نسوية..
كيف تفهم النساء الجنس بعيدا عن الرجال؟

19 | **آراء :آلاء نصار**
فرجي ليس مسبة..
قراءة في تاريخ الإهانة عبر الشتائم الجنسية

23 | **آراء : عبد العزيز القناعي**
جرائم الشرف ضد النساء: شكل من أشكال القتل العمد في الكويت

28 | **حوار مع جمانة حداد**
حول الحرية والجـــنس والسيـــاسة

36 | **آراء : معاذ سعد فاروق**
منديل الشرف الأبيض: عادات ليلة الدخلة بين البلدان العربية

41 | **آراء : أميرة حجلاوي**
آثار الانقلاب الذكوري على المرأة:

46 | **آراء : عبد الرحمن أبو الفتوح**
إدمان الجنس..
عندما تتحول الغريزة إلى مصدر خطر

51 | **آراء : فاروق محافظ**
حبوب منع حمل للرجال..
محطات نسوية في طريق المساواة الجندرية

55 | **قصصنا**
مخاوف ليلة الدخلة: النساء بين كشوف العذرية وسيطرة المجتمع الذكوري

61 | **قصصنا**
أونلي فانز OnlyFans:
كيف غيرت التكنولوجيا صناعة البورنوجرافيا؟

الجنسانية والمجتمع الذكوري

تأشيـــرة

محمدالفزاري

في وطننا العربي تربينا على عبارة مفادها أن هنالك ثلاثة تابوهات لا يجب الاقتراب منها: السياسة، والدين، والجنس، رغم أن هذه الموضوعات جزء لا يتجزأ من حياتنا، ودورها مهم إذا لم تكن الأهم في التأثير في تكوين شخصيتنا؛ حيث إنها تشتبك بشكل مباشر مع تفاصيل حياتنا اليومية، وفي طبيعة التربية التي نتلقاها في البيت وفي المجتمع بشكل عام. وعند الحديث بشكل مخصص عن التابوه الأخير؛ وأعني الجنس، نلاحظ أن الحديث حوله أكثر حساسية مقارنة بالسياسة والدين بين أفراد الأسرة الواحدة، فضلاً عن مناهج التعليم. قد يكون عامل الخوف من إرهاب السلطة السياسية والدينية، أو تجنب الخلافات هو الدافع خلف تجنب الحديث حول السياسة والدين، ولكن هذا في كل الأحوال لا ينطبق على الجنس. الحديث حول الجنس محرج للوالدين عندما يتلقون بين حين وآخر سؤالاً فضوليًا من أطفالهم، وكذلك نجد المعلم في الفصل يتخطى أي فكرة تتعلق بالجنس بشكل سريع لكي يتجنب الأسئلة الفضولية من الطلاب، والتي هي أصلاً طبيعية وبديهية. فضلا عن غياب مناهج الثقافة الجنسية في المدارس في الوطن العربي بأكمله حتى وقتنا الحاضر. في عام ٢٠١٩، كانت هناك سابقة لوزارة التربية التونسية، عندما أعلنت إدراج التربية الجنسية في المناهج الدراسية، وستكون موجهة للطلاب التي تتراوح أعمارهم ما بين ٥ - ١٥ عامًا، ولكن للأسف ما زال القرار حبرًا على ورق.

في مواطن، دائما ما كنا نناقش موضوعات السياسة والدين دون النظر لها كخطوط حمراء وتابوهات يجب تجنبها. ناقشناها بأشكال مختلفة، ومن زوايا متنوعة؛ بيد أنه في هذا العدد من المجلة التي تصدرها مواطن، قررنا أن نلقي الضوء بشكل مكثف على التابوه

رئيس التحرير

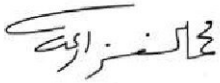

الثالث: الجنس. وكما فعلنا دائمًا مع موضوعي السياسة والدين، كذلك فعلنا مع الجنس؛ حاولنا تجاوز الخطوط الحمراء التي سورها المجتمع كالجدران تحيط بأي موضوع يتعلق بالجنس، لعلنا نستطيع ولو بشكل بسيط أن نحدث ثقوبًا في تلك الجدران ليتسرب من خلالها الوعي بقضية مهمة متداخلة بكل تفصيل من تفاصيل حياتنا. في الواقع، وكما يعلم الجميع، الجدران التي سورها المجتمع لم تمنع فضول الناس من اعتلاء تلك الجدران، للتعرف على ماهية الجنس وكل ما يتعلق به، بدءً من فضول الطفولة إلى الحاجة التي لا مفر منها. مع مرور الوقت كل حسب طبيعة تلك التجارب يبني وعيه الخاص بالجنس وكل ما يتعلق بها من قضايا؛ بيد أنه وعي أتى نتيجة تجربة مرتبكة غير صحية؛ فإن نتائج ذلك قد تكون وخيمة على شخصية أي إنسان؛ فتؤثر سلبًا على بعض سلوكياته وقناعاته. ولأن المرأة هي دائما العنصر الأضعف في معادلة أي مجتمع ذكوري، وهذا هو حال مجتمعنا؛ فإن المرأة كانت دائمًا هي الضحية الأولى من أي تخلف في الوعي يأتي نتيجة ضعف الثقافة الجنسية ومستوى انضباط وصحية الوعي بها.

حجم وطبيعة إشكاليات جهل الثقافة الجنسية في المجتمع ذكوري عامة، والطريقة غير المنضبطة وغير الآمنة التي يتم التعرف بها على هذا العالم خاصة، لا تحصر عواقب تأثيرها على الحياة الزوجية وقضايا أخرى تتعلق بفترة البلوغ فحسب؛ بل إلى ما هو أبعد من ذلك بكثير؛ وخاصة على المرأة. نجد المرأة عنصرًا فاعلاً ومؤثرًا في حديث الجنس والشرف، وفي حديث الجنس والشتيمة، وحديث الجنس وعدالتها بالرجل، وحديث الجنس وحرية قراراتها. وهنا بكل التأكيد لا أعني أن المرأة هي في حد ذاتها الفاعل في هذه القضايا؛ بل عنصر المرأة كجسد. جسد المرأة دائمًا حاضر في معجم الشتم عند الرجل، لأن شرف الرجل مرتبط بالمرأة، وبتحديد أكثر؛ بين فخذيها. ولا يمكن أن تتساوى المرأة بالرجل؛ ليس لأنها أضعف جسديًا من الرجل؛ حيث إن في الكثير من الحالات التي يستدعى فيها موضوع العدالة بين الجنسين، ليس لقوة الجسد عامل مؤثر، ولكن لسبب آخر كامن في أعماق الرجل؛ في طريقة رؤيته للمرأة كمجرد جسد مفعول به، وهذا يعني أنه لا يمكن أن تكون المرأة فاعلاً متمكنًا قادرة على القيادة والتأثير. هذه النظرة القاصرة لا يمكن أيضا فصلها عن قضايا أخرى مرتبطة بدور المرأة في المجتمع، وقضية أخرى لا تقل أهمية؛ وهي قضية تسليع المرأة.

المجتمع الذكوري لم يكن أنانيًا فقط على مستوى حرية المرأة الجنسية، التي دائمًا ما نظر لها بعين الفجور والعهر، وفي ذات الوقت يغض النظر عن حرية الرجل، ولكن أيضًا وجد من المسوغات الكثير لكي يعطي الذكر

حق تعدد شريكات الجنس ويرفضها بشكل قاطع على المرأة. بل وصل الأمر أبعد من ذلك؛ حينما رفض هذا المجتمع أن تتطرق المرأة لتابوه الجنس بكل أشكال التعبير؛ مثلما يتطرق الرجل دائمًا؛ معللاً ذلك أنها لا يمكن أن تعبر عن ذلك إلا لو كانت معها تجاربها الخاصة، وهو ما يرفضه المجتمع بكل تأكيد؛ فالرجل إذن لا يعيبه أن يحكي عن مغامراته الجنسية، ولا تعيبه هذه المغامرات في حد ذاتها، وكل العار يقع على المرأة الناشز على الأعراف الذكورية فقط. ومن أبرز من ناقش قضايا الجنسانية والمرأة في وطننا العربي الكاتبة البارزة د. نوال السعداوي، التي كانت هي الأخرى ضحية، وفي فوهة مدفع المجتمع الذكوري لعدة عقود؛ خاصة بعد نشر كتابها الذي حمل عنوانًا ومضمونًا جدليًا: المرأة والجنس. والسؤال الذي يتبادر إلى الذهن مباشرة: ماذا لو كان مؤلف الكتاب رجلاً؟ هل كان سيثير حفيظة هذا المجتمع؟ أو على أقل تقدير بنفس المستوى؟! الواقع الذي نعيشه يجيب على نفسه؛ لا يمكن أن ينكر عاقل اضطراب الميزان الأخلاقي لدى المجتمع الذكوري؛ فلا يسقط هذا المجتمع نفس المعايير على جسد الرجل كما يسقطها على المرأة. والسعداوي كانت واعية جدًا لهذا الواقع؛ ليس فقط في كتابها عندما أشارت لذلك صراحة: "أن المقاييس الأخلاقية التي يضعها المجتمع لا بد أن تسري على جميع أفراده بصرف النظر عن الجنس أو اللون أو الطبقة الاجتماعية"؛ بل أيضا انعكس على شخصيتها بشكل جلي. لم تكن فقط جرأتها في الكتابة ما أثار حفيظة المجتمع الذكوري، ولكن حياتها بشكل عام التي كانت ترجمة لكل ما تنادي به.

بيد أن من الصعب القول بإن الرجل ليس ضحية هو الآخر أيضًا لضعف الثقافة الجنسية الآمنة التربوية التي يجب أن يتلقاها من وقت مبكر من حياته، التي قد تسبب معه حالة عصاب اتجاه قضايا الجنس وما يتعلق بها؛ مما يتولد عنه نتائج خطيرة على المجتمع؛ تتمثل في ممارسات عدة غير سوية؛ مثل التحرش والاغتصاب، والنظرة الدونية لجسد المرأة، والقائمة طويلة جدًا. ومثل ما تؤكد سعداوي في الكتاب ذاته: "الجهل لا يعني بالضرورة غياب المعلومات، فترويج المعلومات الخاطئة هو أشد أنواع الجهل، وقد يكون من الأفضل للإنسان أن يواجه الحياة بلا معلومات على الإطلاق، على أن يواجهها بمعلومات خاطئة تفسد فطرته وذكاءه الطبيعي". الرجل أيضا ضحية؛ لكن الأصعب هو القول بإن المرأة هي ليست المتضرر الأول من هذا العصاب العام نحو قضايا الجنس. المرأة هي الحلقة الأضعف في المجتمع الذكوري دائمًا، ولذلك هي الضحية الأولى. من هذا المنطلق سيركز هذا العدد بشكل أكبر على قضية الجنس وتداعياتها على المرأة.

حوار مع ڤيان عزيز

الثقافة الجنسية في عالمنا العربي ودهاليـــزها المظلمة

• حاورتها زكية بن خذير

في ظل اعتبار الجنس تابو، تعاني المجتمعات العربية بسبب تلك الحالة العصابية تجاه الجنس، تتخذ المعاناة أشكالا من عدم المتعة وفـــــــــشل الزيجات وحـــــــــوادث تحـــــــــرش وقتل واغتصاب، وفي إطـــــــــار هذا الخوف من خـــــــــوض غمار المعرفة الـــــــجنسية، التقت مواطن بالدكتورة العراقية فيان عزيز اختصاصية الأمراض النسائية والتوليد ببريطانيا، لتفتح أفق القارئ العربي على ما هو مجهول في الثقافة الجنسية.

- ساد الاعتقاد قديمًا بأن غشاء بكارة المرأة مكان جيد للبحث عنه إذا كنت ترغب في معرفة ما إذا كانت لا تزال عذراء.
- المرأة التي تعاني من التحرش، أو تخاف من التعرض للتحرش، لن يكون تعاملها مع جسدها ونظرتها له بشكل صحي على الإطلاق.
- يقوم جميع الذكور اليهود والمسلمين تقريبًا في العالم بختان أعضاء الذكور، ويمثلون معًا ما يقرب من ٧٠٪ من جميع الذكور المختونين على مستوى العالم.
- بعد عملية الختان تتعرض الفتاة لصدمة نفسية وتظل تشعر بالخوف والانقباض، لأن إحساسها بالألم الجسدي في هذه المنطقة الحساسة يؤثر على نفسيتها كثيرًا؛ فتكره الفتاة الحياة الزوجية.
- أظهرت الأبحاث أن ممارسة الجنس ثلاث مرات في الأسبوع في علاقة خالية من التوتر يمكن أن تجعلك تبدو بمظهر أصغر بعقد من الزمن.

ما الثقافة الجنسية ولماذا تعد مهمة؟

الثقافة الجنسية هي المفتاح في التأكد من حصول الناس على المعلومات الصحيحة التي يحتاجونها لاتخاذ قرار صحي مهم، هذا يعني أنه يمكن أن يساعدنا في خفض معدلات الأمراض المنقولة بالاتصال الجنسي، والمساعدة في تحسين الصحة العامة، ويمكن للتعليم الجنسي منع الاعتداء الجنسي على الأطفال، وعنف الشريك الحميم، والعنف الجنسي.

هل يعد غشاء البكارة دليلا على عذرية المرأة؟

ساد الاعتقاد قديما بأن غشاء بكارة المرأة مكان جيد للبحث عنه إذا كنت ترغب في معرفة ما إذا كانت لا تزال عذراء أو على الأقل، إذا كانت قد مارست الجماع المهبلي.

الحقيقة هي أنه في كثير من الأحيان لا يمكن أن يخبرنا الكثير عن التاريخ الجنسي للمرأة؛ فغشاء البكارة يبطن فتحة المهبل، ويختلف شكله وحجمه الفعلي من أنثى لأخرى، ولا يغطي فتحة المهبل تمامًا، وهذا أمر منطقي تمامًا، لأنه بخلاف ذلك لن يتمكن دم الدورة الشهرية من مغادرة المهبل وفي الواقع، يولد بعض النساء دون غشاء بكارة.

في الحالات النادرة التي يغطي فيها غشاء البكارة فتحة المهبل بأكملها، وهي حالة خِلقية يتم فيها إجراء الجراحة لثقبه والسماح للإفرازات المهبلية بالخروج من الجسم، في حين أن الجماع المهبلي أو بعض الأنشطة البدنية الشاقة يمكن أن تسبب تمزقًا بسيطًا في غشاء البكارة، والعديد من النساء لا يعانين من أي تمزق أو نزيف أثناء ممارسة الجنس، حيث يمكن أن يتمدد غشاء البكارة لاستيعاب القضيب، حتى في حالة حدوث تمزق، لا يتبع ذلك نزيف دائمًا. ولأن غشاء البكارة يمكن أن يكون له أشكال مختلفة لا تعد ولا تحصى، فسيكون من الصعب للغاية معرفة ما إذا كان هناك تمزق بسيط أو ما إذا كان موجودًا طوال الوقت.

كيف تؤثر التابوهات الأخلاقية بالمجتمعات العربية على حياة الرجل والمرأة الجنسية؟

غالبية المشروعات التي تتناول الحياة الجنسية، تركّز على الصحة الإنجابية، وتهمل موضوعات الصحة الجنسية، سواء أكانت العدوى المنقولة جنسيًا، أو الجنس الآمن، أو حتى متعة الأفراد، لذلك اهتم بعدم تجنّب موضوعات معينة، والتركيز على حق الأفراد في المتعة في العلاقات الجنسية والعاطفية، وكيف نأخذ قرارات مبنية على معرفة ومعلومات علمية، ونحقق حياةً عاطفية سعيدة، بقرارات مستنيرة.

وهناك موضوع التشريح؛ فعندما تعلم الفتاة أو الفتى طبيعة المنطقة الحميمية، يعرفان كيفية التعامل معها، ويحدث فارق كبير في الثقة بالنفس وتوسيع المدارك، ويسهّل إيصال المعلومة، وتزول حالة الغموض التي تحيط بموضوع الصحة الجنسية وكذلك مفهوم الرضائية، والتواصل في العلاقات الجنسية، خاصةً وأننا نعاني من ثقافة ترسّخ داخل النساء أنهن مدينات بالجنس للرجال، وأن الجنس احتياج ذكوري، وليس من حقهن رفض العلاقة، أو بعض التصرفات أو الأفعال.

> يجب تعليم هذا المفهوم من سن صغيرة والإلحاح عليه، سواء في مرحلة المراهقة، أو حتى للكبار والبالغين، فليس هناك ما يُسمّى يتمنعن وهن راغبات "لا" تعني "لا".

كيف تؤثر حوادث التحرش على حياة المرأة جنسيا؟

يعتقد البعض أن تأثير التحرش الجنسي، في كونه سلوكًا عنيفًا فقط؟ حيث يدرج كأحد أنواع العنف ضد المرأة، ولكن لا يقتصر الأمر على العنف الجنسي فقط، بل يتخطاه ليعتبر أحد أهم العوامل التي تؤثر على المرأة في تعاملها مع جسدها، فالمرأة التي تعاني من التحرش، أو تخاف من التعرض للتحرش، لن يكون تعاملها مع جسدها ونظرتها له بشكل صحي على الإطلاق حتى بعد تخطي فترة الطفولة والمراهقة.

ومن أهم الآثار هو تصدير شعور تدني احترام الذات لديها، فالمجتمع وخصوصًا المجتمعات العربية تلقي باللوم على المرأة المتحرش بها، حيث تجد التبريرات للتحرش؛ مثل السؤال عن ملبس المرأة، مكان وقوع التحرش وهل اختلت

الضحـــية بالمتحـــرش؟ علاقـــة الضحية بالمتحرش وهل تعرفه سابقًا؟

وهكذا تنشأ صورة ذهنية لدى الفتاة بأنها منتهكة، وأن تعرضها للتحرش نتيجة ارتكابها أخطاء أدت إلى ذلك، لتلوم نفسها وتكره جسدها باعتباره سببًا.

التحرش -وخصوصًا عندما يتم في سن صغيرة- يقدم صورة ذهنية شديدة السوء للفتاة عن الجنس، فالعقل الصغير للضحية يرى الفعل الجنسي وسيلة للتعذيب والألم والعار واللوم، فالجنس مرادف للابتذال، حتى إن كان علاقة رضائية.

الكثير منهم يعانين في فترات طويلة من حياتهم من القلق والتوتر والكراهية لأي تقارب أو تلميح جنسي، فتفشل الفتاة حتى في علاقتها الحميمة الطبيعية فيما بعد.

وحسب تقرير نشره موقع CNN عن إحصائيات الأمم المتحدة بالنسبة للتحرش الجنسي، فقد وجد أن المرأة العربية هي الأقل إحصائيًا في الإبلاغ عن تعرضها للتحرش؛ بل إن المنطقة العربية ومنطقة الشرق الأوسط هي الأقل مشاركة في حملة "أنا أيضا" التي تكشف وتدين المتحرشين عالميًا، وأرجعت أسباب ذلك إلى:

- وصم المرأة التي تتحدث عن تعرضها للتحرش.
- والعار المصاحب لحديثها عن هذا الفعل.
- ولومها لكونها هي السبب الرئيسي للتحرش.

> يصـــل الأمر لفقدان المرأة لوظيفتها ومصدر دخلها في بعض المنـــاطق، وتفقـــد حياتها إذا اقـــترن التصريح بالتحرش باحتمـــالية فقد الفتاة لعذريتها.

هل الختان عملية مفيدة؟ وكيف تؤثر جنسيًا في حياة الرجل والمرأة؟

في جميع أنحاء العالم، يتم ختان ما يقرب من ٣٠٪ من الذكور وفقًا لتقرير عام ٢٠٠٧ الصادر عن منظمة الصحة العالمية (WHO)، ويذكر التقرير أن المعدلات تتفاوت بشكل كبير حسب الدين والجنسية.

يقوم جميع الذكور اليهود والمسلمين تقريبًا في العالم بختان أعضاء الذكور، ويمثلون معًا ما يقرب من ٧٠٪ من جميع الذكور المختونين على مستوى العالم.

بالإضافة لفوائد الغلفة، التي يفقدها الطفل الذكر عند تشويه أعضاءه التناسلية (بالختان) فإن التعدي (بالتغيير والتبديل والتعديل) هو إساءة بالغة للطفل.

تقدم الغلفة العديد من الخدمات لأغراض هامة، فهي ليست مجرد "جلدة" يفقدها الرضيع عند الختان، فهناك ما لا يقل عن ستة عشر (١٦) وظيفة مهمة تفقد ببترها. ومن النتائج المرتبطة بإزالة الغلفة في مرحلة البلوغ قد تشمل ضعف الانتصاب، وصعوبات النشوة الجنسية، وانخفاض أداء الاستمناء (فقدان المتعة وزيادة الصعوبة)، وزيادة ألم القضيب، وفقدان القضيب الحساسية مع تقدم العمر، وانخفاض التصنيفات الذاتية لحساسية القضيب.

أما عن تشويه الأعضاء التناسلية للإناث المعروف بختان الإناث

يمكن أن تسبب هذه العمليات نزيفا حادا ومشكلات في التبول، وبعد ذلك تكيسات وعدوى وعقمًا، بالإضافة إلى مضاعفات الولادة وزيادة خطر وفيات الأطفال حديثي الولادة. خُتنت أكثر من ١٢٥ مليون فتاة وامرأة على قيد الحياة اليوم في ٢٩ دولة في أفريقيا والشرق الأوسط؛ حيث يتركز ختان الإناث.

وينفذ ختان الإناث في الغالب على الفتيات الصغيرات فيما بين الطفولة وسن ١٥ سنة، ويُعد ختان الإناث انتهاكًا لحقوق الإنسان الخاصة الفتيات والنساء.

يؤثر الختان بشكل سلبي جدًا على المرأة سواء من الناحية النفسية أو الجسدية على النحو التالي:

● من الناحية النفسية: في كثير من حالات الختان يقوم بهذه العملية أشخاص ليسوا أطباء في الأساس، ويفعلون ذلك بدون تخدير، وحتى الأطباء الذي يفعلون ذلك يفعلونه بطريقة غير إنسانية، مما يُسبب ذكرى سيئة للفتاة خاصةً إذا كانت في سن لا تعي أو تُدرك ما الذي يحدث لها.

● بعد عملية الختان تتعرض الفتاة لصدمة نفسية وتظل تشعر بالخوف والانقباض، لأن إحساسها بالألم الجسدي في هذه المنطقة الحساسة يؤثر على نفسيتها كثيرًا؛ فتكره الفتاة الحياة الزوجية وفكرة الزواج بشكل عام، وحتى إذا تزوجت تظل تُعاني نفسيًا من ممارسة العلاقة الحميمة، وتُصاب بما يُسمى بالبرود الجنسي.

● عمليات الختان حتى وإن كانت تحت إشراف طبيب، قد تتسبب في حدوث نزيف قوي، وقد يؤدي ذلك للموت، وقد تتسبب طريقة التخدير في فقدان حياة الفتاة خاصةً إذا كان الشخص الذي يفعل ذلك غير متخصص.

● تُعاني الفتاة بعد الختان من ألم في منطقة المهبل وقد تُصاب بسلس البول أيضا،

● وتُعاني المرأة المختونة بعد الزواج من ألم أثناء العلاقة الحميمة، ويؤدي لعدم إحساسها بالمتعة الجنسية. وقد تُصاب المرأة أيضا بالجفاف المهبلي بسبب الختان مما يجعل وصولها للنشوة الجنسية أصعب.

● هل الختان يُسبب العقم؟ نعم، فمن مخاطر ختان الإناث هو تلوث الجرح الذي يتم في المهبل ووصول التلوث للرحم وقناة فالوب مما يؤدي لمشاكل في جدار الرحم وإصابة المرأة بالعقم.

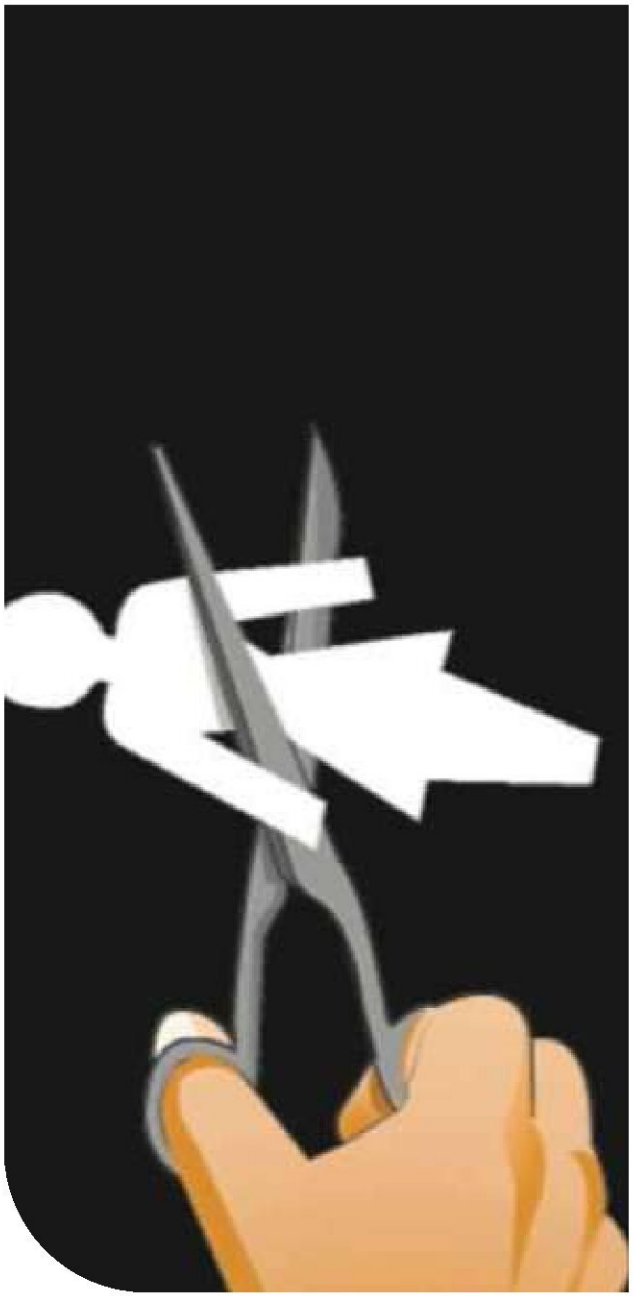

كيف يؤثر الختان على شعور المرأة بالمتعة الجنسية في العلاقة الحميمة؟

بالتأكيد يؤثر الختان "بالسلب" على شعور المرأة بالمتعة الجنسية في العلاقة الحميمة مع زوجها، فكيف لا يفعل وهو عبارة عن بتر لأحد الأجزاء الهامة جدًا في العضو التناسلي للمرأة "البظر" وهو الجزء الذي تتم من خلاله إثارة المرأة جنسيا. فبالإضافة للحالة النفسية السيئة التي تشعر بها المرأة في كل مرة تمارس فيها العلاقة الزوجية نظرًا لما تشعر به من ألم في هذه المنطقة، وتفقد المرأة أيضا متعتها الجنسية أو الشعور بأي شيء خلال الإيلاج في العلاقة الحميمة. ويزداد الأمر سوءً إذا لم يكن الزوج يعي ذلك فتتأثر حالتها النفسية أكثر عندما يتهمها بالبرود الجنسي.

ما هو السبب الرئيسي خلف جرائم الشرف؟ وكيف يمكن مواجهة ذلك من وجهة نظرك؟

> "تُذبح الضحية مرتين؛ مرة بالقتل ومرة بالتستر على المجرم وتبرئته اجتماعيًا و قانونيًا."

لكن الغالبية العظمى من هذه الحوادث تبقى طي الكتمان، وقد تدفن الحقيقة مع الضحايا الأرقام الحقيقة للظاهرة المرعبة، وغالبًا لا يجري الإبلاغ عنها للتستر على الجاني وحمايته، ولا سيما أنه أحد أفراد العائلة. وأحيانا يتم التذرع بحماية سمعة القتيلة أو خصوصيتها، في ظل قبول الأطراف والجهات المختلفة للعنف الموجه نحو النساء ضمنيا وعلنيا.

وتكمن الخطورة الأكبر في استمرار دائرة القتل واتساعها دون أن يدري أحد عنها شيئًا، ودون ردع يُذكر. فتراخي القوانين في العالم العربي يسمح بتزايد هذا النوع من الجرائم، إذ "توحي الأحكام المخففة بأنه بإمكان أي رجل أن يقتل ابنته أوأخته أو زوجته.

> "القانون نفسه يجيز لأهل الضحية "إسقاط الحق الشخصي"؛ أي حقهم في القصاص لابنتهم أو أختهم مما يخفض الحكم المخفف بالأساس إلى النصف."

ويشجع هذا التمييز والأعذار المخففة في القانون على استمرار ارتكاب جرائم قتل بدعوى الدفاع عن "الشرف"، ويكون السبب الحقيقي وراء كثير من هذه الجرائم خلافات اجتماعية؛

كإرغام الفتاة على الزواج، أو زواجها من شخص من دين أو قومية مغايرة، أو الدخول في علاقة عاطفية مع شخص ترفضه العائلة، أو طلب الطلاق، وقد يكون القتل بسبب خلافات مالية كخلاف على الميراث مثلا، إلا أن مرتكبيها يستغلون "الشرف" للتنصل من العقوبة أو لتخفيفها.

> ووفقا للفحوص الشرعية يتبين أن غالبية الفتيات اللواتي قتلن "دفاعًا عن الشرف" كن عذارى، كذلك قد يكون القتل بدافع التغطية على جريمة أخرى كسفاح القربى.

وغالبًا تكون الإشاعات أو مرض نفسي للزوج أو الاتهامات الكيدية هي دوافع الجريمة، ورغم ذلك يتم تخفيف العقوبة؛ فالإبقاء على هذه النصوص جريمة تبيح القتل بلا عقاب، وبرغم تحديد النص لحالة التلبس، إلا أنه في ظل غياب التعريفات القانونية الواضحة فإن كل ما تفعله المرأة يمكن أن يعتبر تهديدًا لشرف الرجل؛ ككشف شعرها أو الخروج من البيت، أو استخدام مواقع التواصل الاجتماعي للمحادثة أو لنشر صور.

الحل بتعديل منظومة القوانين بحيث تشدد العقوبة لتتناسب مع الجرم المرتكب ومعاملته كأي جريمة قتل؛ وهي الخطوة التي أقدمت عليها تونس ولبنان حين ألغتا المادة الخاصة بـجرائم الشرف.

كيف تؤثر عملية الاستمناء على الجنسين؟ وهل الاستمناء من الأفعال المضرة أم المفيدة جنسيًا؟

يمكن للمرأة ممارسة امتاع الذات بقدر ما تشاء دون أي مخاطر صحية حقيقية، وهناك العديد من الفوائد الجسدية والعقلية. ما زال الإمتاع الذاتي أو ما يُعرف بالعادة السرية أو الاستمناء من المحرمات في مجتمعاتنا، خاصةً عند الإناث، على الرغم من فوائده الصحية العديدة.

وغالبًا تكون الإشاعات أو مرض نفسي للزوج أو الاتهامات الكيدية هي دوافع الجريمة، ورغم ذلك يتم تخفيف العقوبة؛ فالإبقاء على هذه النصوص جريمة تبيح القتل بلا عقاب، وبرغم تحديد النص لحالة التلبس، إلا أنه في ظل غياب التعريفات القانونية الواضحة فإن كل ما تفعله المرأة يمكن أن يعتبر تهديدًا لشرف الرجل؛ ككشف شعرها أو الخروج من البيت، أو استخدام مواقع التواصل الاجتماعي للمحادثة أو لنشر صور.

الحل بتعديل منظومة القوانين بحيث تشدد العقوبة لتتناسب مع الجرم المرتكب ومعاملته كأي جريمة قتل؛ وهي الخطوة التي أقدمت

عليها تونس ولبنان حين ألغتا المادة الخاصة بـجرائم الشرف.

كيف تؤثر عمليـــة الاستـمناء على الجنسين؟ وهل الاستـــمناء من الأفعال المضرة أم المفيدة جنسيًا؟

يمكن للمرأة ممارسة امتاع الذات بقدر ما تشاء دون أي مخاطر صحية حقيقية، وهناك العديد من الفوائد الجسدية والعقلية. ما زال الإمتاع الذاتي أو ما يُعرف بالعادة السرية أو الاستمناء من المحرمات في مجتمعاتنا، خاصةً عند الإناث، على الرغم من فوائده الصحية العديدة.

> كشف استطلاع رأي جرى في عام 2015، أن نسـبة 20% من النساء لم يمـــارسن العادة السرية أبدًا.

وفي عام ٢٠١٧ وجدت دراسة استقصائية أمريكية، أجرتها جامعة إنديانا للصحة والسلوك الجنسيين، أن ٧٢٪ من النساء اللائي تتراوح أعمارهن بين ٢٥ و٢٩ عامًا مارسن العادة السرية مرة واحدة على الأقل. في حين قال ٨١٪ من الرجال، الذين تتراوح أعمارهم بين ١٨ و٤٩ عامًا، إنهم مارسوا العادة السرية بمفردهم مرة واحدة على الأقل.

ما هي الأسباب التي تجعل النساء أقل ميلاً لممارسة العادة السرية من الرجال؟

قد يكون أحد الأسباب أنه من المعتاد أن يلمس الرجال قضبانهم عند التبول، لذلك فلمسهم لأنفسهم أثناء ممارسة الاستمناء مسألة روتينية بالنسبة لهم.

وقد يعود السبب إلى نشأة النساء على أنهن أوعية للإنجاب فحسب، إذ يرى خبراء علم النفس أن النساء يُربين على إرضاء الآخرين، وتأتي سعادتهن في المرتبة الثانية. ويرى المجتمع الأبوي النساء على أنهن وسيلة فقط لإسعاد الرجال، وتنشأ المرأة على ذلك. وبسبب الأساطير المنتشرة عن غشاء البكارة، تخاف الفتيات أيضًا من الاقتراب من هذه المنطقة خوفًا من تمزق الغشاء.

> عندما تصل المرأة إلى للنشوة الجنسية بمفردها أو في وجود شريك ينتج المخ الكثير من الهرمونات والمواد الكيميائية المختلفة، وتشـــــمل السيروتونين والدوبامين. ويُفرز أيضًا الأوكسيتوسين الذي يجعل الإنسان يشعر بالراحة. والهرمونات أيضًا تجعل من عملية النوم أفضل وهذا سلوك مهدئ للذات، ويجعلنا على اتصال بأجسادنا.

ولامتاع الذات حسب الأبحاث الطبية فوائد عديدة:

- تحسين الدورة الدموية: تعزز النشوة من تدفق الدم؛ مما يساعد على توزيع العناصر الغذائية الحيوية وتنظيم الدورة الشهرية على الأقل وممارسة الجنس مرة واحدة على الأقل في الأسبوع.
- جهاز تناسلي منظم: من خلال تنشيط غدة تحت المهاد، تساعد النشوة في تنظيم كل شيء من شهيتك إلى عواطفك، كما أن التعزيز اللاحق للغدة النخامية ينظم هرمونات التكاثر الضرورية للتبويض المنتظم وإنتاج سوائل عنق الرحم الكافية.
- إزالة السموم الطبيعية: توفر النشوة تدليكًا لمفاويًا شاملًا للجسم، مما يحسن الهضم والمزاج ويزيل السموم.
- إنتاج هرمون الاستروجين الصحي: يحافظ على أنسجة المهبل ويساعد على حماية عظامك وقلبك.
- دعم الاسترخاء العميق: لا شيء تقريبًا يحقق الشعور بالسلام أكثر من الإندورفين وتدفق الكورتيزول الناتج من النشوة الجنسية.
- تقوية الدماغ: تزيد النشوة الجنسية من مستويات هرمون DHEA في الجسم، مما يساعد على الحفاظ على صحة الدماغ والجلد والأنسجة والجهاز المناعي.

مظهر أكثر شبابًا: أظهرت الأبحاث أن ممارسة الجنس ثلاث مرات في الأسبوع في علاقة خالية من التوتر يمكن أن تجعلك تبدو بمظهر أصغر بعقد من الزمن.

دعم المناعة: تزيد النشوة المنتظمة من كمية الخلايا المقاومة للعدوى في الجسم بنسبة تصل إلى ٢٠ بالمائة.

زيادة تحمل الألم: تعمل النشوة على رفع عتبة الألم لديك بدرجة كبيرة، تسهل التعامل مع آلام الحياة.

الفوائد الشخصية: بفضل زيادة الأوكسيتوسين، يصبح المرء أكثر انفتاحًا واجتماعية.

> **تستمر تربيـــــة الفتيات: إن الإثارة والرغبة الجنسية الخاصة بهن تكمن في أيدي شخـــص آخر، مع انعدام التربية الجنسية التي يجب تقديمها في المـــــدارس أو المنازل، تجعل الفتيات والنســاء لا يعرفن أجسادهن وكيفية عملها، وماذا تعني أو لا تعني الأحاسيـــــس، وكيف ترتبط استجاباتهم الحـــسية والجسدية بالشهوة، والإثارة، والحب. فإذا كانت المرأة لا تعرف هذه الأشياء عن نفسها وجسدها، فما مدى احتمالية أن الشريك سيفعل؟**

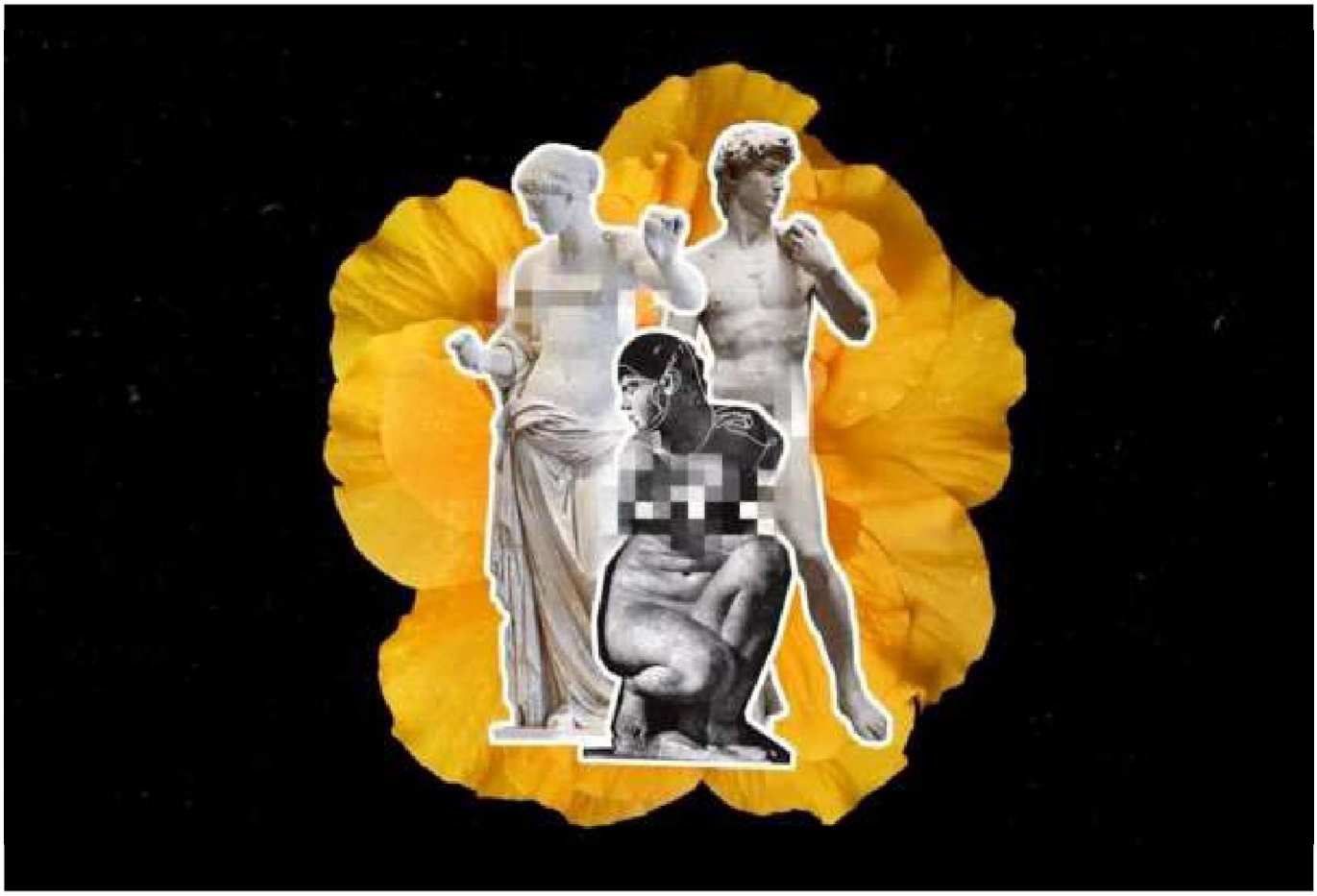

هل يمكنك تقديم بعض النصائح للقراء من أجل حياة جنسية سعيدة؟

على الجميع الاهتمام بما يعرف الـ Five T - Tryst - Time - Touch - Talk - Thought

كلما كان الشخص أو الشريكان أكثر تفهما وانفتاحًا للأفكار الجديدة و المميزة ومناقشة المشاكل كلما حصلا على علاقة جنسية أفضل وأكثر فاعلية. فمناقشة المشاكل التي قد يعاني منها أي طرف وتفهمها ومساعدة الطرف الآخر على التغلب عليها له عامل كبير نفسيًا وجسديًا على تجاوز المشكلة وزيادة الشغف بين الطرفين.

تفهم جسدي وجسد شريكي ونقاط المتعة فيه وخاصة تحفيز البظر فهو عامل مهم جدًا وحيوي لوصول الشريكة لنقطة النشوة الجنسية، ويضمن استمتاعا بالتجربة بشكل مميز. شراء ملابس داخلية جديدة ومثيرة، أمر مهم جدا، أيضا رائحة اللافندر مثيرة للغاية، وزيت اللافندر مناسب في عمل المساج لليلة حميمة مميزة. تظل القاعدة الأهم هي عدم الخجل من الشريك بما نرغب. وأخيرا أنصح كل النساء بممارسة تمرينات كيجل، فهي تحسن من أداء العلاقة الحميمة.

الجنس رؤية نسوية..

كيف تفهم النساء الجنس بعيدا عن الرجال؟

"إن التحديق هو استراتيجية ذكورية لتثبيت المرأة في رمزها التاريخي/الممثل، أي تثبيتها كرمز ثقافي وهوية. هو استراتيجية لتثبيتها كآخر، فهي ليست رجلاً" - رجائي موسى

تظل صورة المرأة في الحياة اليومية عبارة عن صورة لنساء مستعدات لوضعية التقاط بعدسات ذكورية، تضع شروط الجمال والعفة ونموذجا لكيف يجب على النساء أن يكنّ، أو كما أخبرتنا سيمون دو بوفوار "لا تولد المرأة امرأة بل تصبح كذلك".

لقد كان السيد كولن ولسن شديد النباهة والذكاء في كتابه أصول الدافع الجنسي، حيث نوه إلى أن تلك النظرة الجنسية بين طيات الكتاب هي نظرة ذكورية لرجل، ولكي نفهم النساء جنسيا فعلينا أن نسمع النساء يتحدثن في الجنس.

دارت آراء النساء "النسويات" في العصر الحديث عن امرأة فاعلة جنسيا بعيدا عن تلك النظرة القديمة عن سلبية المرأة الجنسية والتي استمرت لحقب طويلة من التاريخ، وقد أخذت تلك الرؤية نساء العصر الحديث إلى مساحات قيادة وتأثير أكبر على مستويات السياسة والأسرة، وأصبحت المرأة تلعب أدوارا قيادية بعيدة تماما عن التبعية، وقد امتدت بعض الأصوات عبر التاريخ الغربي لرفع الهيمنة الذكورية المعيشية والنفسية والجسدية عن النساء، وهو الأمر الذى بقيت له أصداء صوتية بالعالم العربي حتى اليوم، إذا كيف تنظر النساء إلى عملية الجنس وأحقية التصرف بالجسد. في "مواطن" نحاول الحصول على إجابة عبر تطور كتابات النساء من ستينات القرن الماضي إلي العقد الثاني من القرن الحادي والعشرين.

جنس بلا متعة

بحسب نوال السعداوي، فقد تم استخدام المرأة وظيفيا عبر التاريخ كأداة للإنجاب والإمتاع، مع إهمال الجانب الإنساني فيها، وقد شاع بين الرجال أن المهبل أكثر أعضاء المرأة إثارة وتم التعامل مع البظر على أنه زائدة دودية في المرأة، ولكن واقع الأمر مختلف تماما حيث إن المهبل يسيطر عليه الوظيفة الإنجابية،

بينما البظر هو عضو الإمتاع الذي لا يختلف في تكوينه عن عضو الرجل، واعتبر أن ما يمتع الرجل ذاته هو مصدر متعة المرأة، واختزلت الوظيفة الجنسية للمرأة في الإنجاب، وقد ماتت الكثير من النساء، بعد حياة أنجبن فيها عشرات الأطفال، ولا يعرفن شيئا عن لذة الجنس، فقد استمر الجهل عبر السنين واقتصارُ تصورات الرجال الخاطئة حول أن فتحة الرحم والمهبل أعضاء جنسية، مع أن الطبيعة نفسها حرمت المرأة من الإحساس العالي بتلك المناطق حتى يتم تحمل آلام الولادة وحسب، وقد ارتبط عقل الرجل أيضا بأن الوصول للقذف يعني وصول المرأة معه لقمة المتعة، مع أن ذلك ليس حقيقيا وأن للمرأة متعة منفصلة عن الرجل، وبحسب الإحصائيات أن غالبية النساء لا تعرفن الأورجازم قبل الزواج على عكس غالبية الرجال، كما أن غالبية النساء لا يصلن إلى الأورجازم إلى بعد عمر٣٥ سنة بسبب الخبرة والتصالح من العقد النفسية حيال الجسد، أو أسباب بيولوجية تتعلق بمدى تدفق الدم بالمناطق الجنسية الحساسة بعد عمليات الولادة.

الخبرة الجنسية الأولى

تعتقد سيمون دي بوفوار أن سلوك ومستقبل الفتاة معلق على الطريقة التي تستقبل بها خبرتها الجنسية، بينما يرى الرجل في تلك العملية فرصة لتأكيد الذات وفرض الهيمنة، بينما تذهب المرأة إلى لعب دور الفريسة الخاضعة، والحياة الجنسية للمرأة أكثر تقييدا بسبب وضعها الاجتماعي، حيث أزمة التعارض بين عضوين من أعضائها التناسلية، البظر والمهبل. ففي مرحلة الطفولة يكون البظر مركز الإحساس الجنسي، ويستمر إلى فترة ما بعد البلوغ دون لعب دور في عملية الجماع التقليدية، ويكتسب المهبل أهميته بعد سن البلوغ فيصبح أداة التوالد، ولا يكتسب حساسيته الجنسية إلا بتدخل الرجل. كما أن العادة جرت على أحقية الرجل في طلب المرأة في جميع الأوقات بينما لا تستطيع المرأة العكس ولا يمكنها طلب الرجل إذا لم يكن في حالة انتصاب، وعلى العكس فالرجل لا يفكر في مدى

رغبة المرأة في الجنس في العملية الجنسية، كما أن للمرأة سلبية جنسية تكفي لإقامة علاقة كاملة وعملية إنجاب دون أي شعور بالمتعة.

الرجل ورغبة المرأة

ترى فاطمة مرنيسي أن هناك طبيعة عدوانية تجاه رغبة المرأة الجنسية في المجتمعات المسلمة، وأن المرأة التي بإمكانها ممارسة عملية الجنس تتعرض لقدر أكبر من القيود وهو ما يحدث في حالات الزواج والطلاق، والرجل لا يمكنه مقاومة جاذبية المرأة فهو دائم الانقياد لها، ولذلك تعد المرأة في العقلية المسلمة مصدر فتنة وخطورة، وقد روي في صحيح مسلم أن النبي رأى امرأة، فدخل على زينب فقضى حاجته وخرج وقال: "إن المرأة إذا أقبلت أقبلت في صورة شيطان، فإذا رأى أحدكم امرأة فأعجبته فليأت أهله، فإن معها مثل الذي معها". وبالنهاية تعد المرأة قوة هدامة اجتماعيا كتجسيد للفوضى والفتنة. حيث إن الرجل المكبوت جنسيا ينشغل بالطهارة والعفة، حيث تعد تجربته الجنسية نجسة، وقد كان ربط كرامة الرجل بالسلوك الجنسي للنساء أمرا سهلا لما كانت النساء حبيسات الأمكنة الخاصة، ولكن بعد خروج النساء للمجال العام من باب العمل والتعليم والممارسات اليومية أصبح شرف الرجال مهددا دوما من أقل حديث لامرأة من محيط هيمنته تتواجد مع رجل غريب.

وبحسب سيمون دي بوفوار يبقى اللقاء الأول جنسيا للمرأة ليس بالأمر السهل؛ فالعذراء لا تنتظر كما يشاع أن يوقظ فيها رجل الرغبة، بقدر ما هي تبدو حائرة لا تعرف ماذا تريد، كما أنها قد تشعر بعدم الراحة الميل إلى قوة وخشونة الرجال، كما أن هناك بعض التجارب من الطفولة والمراهقة قد تخلق بداخل المرأة مقاومة شديدة تجاه كل ما هو جنسي، بينما أيضا حياة الكبت والتربية المنغلقة تولد الشعور بالذنب والإثم داخل بعض الفتيات تجاه عمليات الجنس، في النهاية ومع التشديد على أهمية العذرية والاحتفاظ بالبكارة، تجد المرأة نفسها في أول ليلة بين يد رجل غريب تكتشف من خلاله نفسها، حقا إنها تجربة مخيفة، بعد الحياة على عالم من الأحلام أثناء الخطوبة أو بدايات التعارف، كان زوجا أم عشيقا يبقى الأمر ذاته في أول مرة تقع فيها تحت يد رجل بشكل حقيقي، تحت نظرة تبتلعها تماما، كما ألّا مفر من التبعية حيث لا يمكن أن تكتشف جسمها إلا من خلاله، ويبقى الرجل يلعب دور الحكم تجاه تلك المرأة مهما بلغت من الجمال تبقى وتنتظر تعليقه، وحين يبدي لها الحماسة والرقة تدب في نفسها الثقة ومشاعر الأمان حتى لو بلغت الثمانين من العمر، وعلى العكس إذا أساء الزوج والعشيق رد الفعل فسوف يؤدي إلى زيادة الشعور بالنقص في نفس المرأة

المرأة وفعالية الجنس

وعلى عكس الرؤية الغربية ترى فاطمة مرنيسي أن هناك صورة عميقة في العقلية المسلمة حول كيد المرأة،

واعتبار أنها الفاعل والصائد جنسيا لا الفريسة التي يوقع الرجل بها، وحين نراجع آراء قامة إسلامية تراثية كأبي حامد الغزالي، نجده عكس فرويد لا يمنح المرأة دورا سلبيا جنسيا وإنجابيا، بل يرى أن هناك فروقا شكلية طفيفة بين طبيعة الأداء الجنسي للرجل والمرأة، وأنه ربما يتأخر قذف المرأة عن الرجل، ويوصي الغزالي بأهمية اللحظات الممهـــــــدة في اللحـــظات الجنسية ويذكر عن النبي محمد أنه قال: "لا يقع أحدكم على امرأته كما تقع البهيمة وليكن بينهما رسول"، قيل وما الرسول يا رسول الله؟ قال: "القبلة والكلام".

وتذكر نوال السعداوي أهم نتائج أبحاث ماسترز وجونسون الجنسية حول تشابه بلوغ قمة اللذة عند الجنسين من حيث رد الفعل واستجابة العضلات وتدفق الدم، وأن العضلات نفسها المسؤولة عن قمة اللذة في الرجال نفسها في الإناث، كما لا يمكن بلوغ قمة اللذة عند المرأة عن طريق المهبل وحده بل يجب بلوغ قمة اللذة في البظر أيضا، وإن المرأة شديدة الحساسية النفسية وعليها التخلص من خوفها وعقدها وخجلها إذ يقف كل ذلك عائقا أمام الانفعالات الحسية. وقد أضافت أبحاث شيرفي بعدا هاما حول أهمية البظر كمصدر أول وأساسي مسؤول عن اللذة الجنسية عند النساء، إذ إن المهبل في ثلث الجزء العلوي منه مكان غير حساس للجنس، بينما وفي الثلث الثاني والثالث السفلي منه حساس جنسيا، ولكن بقدر أقل من الشفرتين من حيث الحساسية الجنسية.

وتعتقد سيمون دو بوفوار أن الرجال يشتكون من كثرة الطلب الجنسي عند السيدات، ولا شك أن ذلك يعود إلى كون عملية الجنس عند الرجل لها نهاية معينة، التفريغ والقذف، أما المرأة تريد الحصول على الانفعال واللذة بصورة عامة كما أن جسمها لا يمنح استجابة لنهاية معينة مثل الرجل، والمرأة عكس الرجل فلا يحد من قدرتها الجنسية إلا التعب القلبي أو العصبي أو مشاعر الإشباع الجنسية.

المـــــرأة بين حـــرية الجنس وتقييده

ترى الكاتبة اللبنانية جمانة حداد أن الجنس ليس وصمة أخلاقية، وأن رفض الجنس خارج إطار الزواج يعود إلى حالة من النفاق الاجتماعي بين الناس، وأن الجنس حاجة وحق يجب أن تمارس بوعي مع ضرورة القدرة على حماية جسد المرأة، كما تدعو إلى حرية ملكية الأجساد

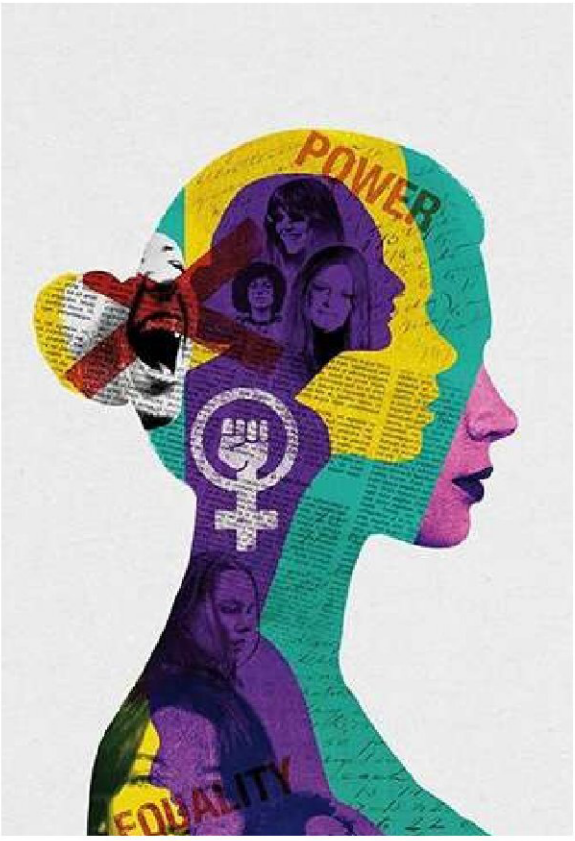

للنساء كراشدات لهن حرية التصرف فيها، وتعتبر أن هناك معايير مزدوجة تمجد الرجل متعدد العلاقات الجنسية، وفي المقابل تحقر من المرأة التي لها علاقات جنسية.

من جهة أخرى خرجت الناشطة النسوية دارين حسن تعلن ممارستها علاقة جنسية خارج إطار الزواج، واعتبرت أن العار هو ممارستها العملية الجنسية باسم الشرع مع رجل لا تحبه، وتساءلت لماذا يعد الجنس حرية للرجال بينما هو طلقة أخيرة موجهة في رأس النساء.

بينما ترى د. هبة قطب أستاذة الطب الشرعي والباحثة في علوم الجنس أن العلاقات خارج إطار الزواج مناطحة للقوانين الربانية مما يجعل الخسارة قاطعة، وأن العلاقات داخل إطار الزواج هي ما يفرق بين الإنسان والحيوان، حيث لم يخلق الله البشر هائمين مثل الحيوانات بلا قوانين أخلاقية.

خاتمة

يبقى الجنس وسيلة هامة للاستقرار النفسي، كما يتسم بالتشاركية، وكلما كانت مساحة الفهم أكبر بين طرفي عملية الممارسة الجنسية تحقق مستوى رضى وسعادة أكبر، كما تطورت مفاهيم المرأة الجنسية، عبر التاريخ، عن نفسها وفي وعي الرجل. كما كشف العلم الحديث الفعالية الجنسية لدى النساء، مما جعل من المرأة شريكا كاملا للرجل، شريكا سياسيا ينافس على السلطة، وشريكا داخل البيت والسرير، فعملية الذهاب للسرير أصبحت من أجل متعة طرفين كل منهما قادر على التعبير عن الرغبة، وطالما للمرأة رغبة سريرية فعالة، فهي شريكة بالمنزل والمجال العام مع الرجال، مما دغدغ الصورة النمطية عن الخضوع الجنسي للنساء ولعب دور التلقي والتبعية.

فرجي ليس مسبة..
قراءة في تاريخ الإهانة عبر الشتائم الجنسية

آلاء نصار
كاتبة وناشطة نسوية

لا تخلو أي لغة من مفردات السُباب والشتائم، فلطالما كانت هذه الألفاظ موجودة و متأصلة في ثقافاتنا على اختلافاتها، فنحن كبشر نملك خاصية اللغة التي تعمل بدورها كأداة تعبيرية عن الحالة النفسية التي نود إيضاحها عبر الكلمات فنمدح تارة و نذم تارة أخرى ونقوم بالتعبير عن آرائنا بلغة منمقة وجمل مرتبة بعض الأحيان ونعبر عما يجول في خواطرنا بأقذع الألفاظ والشتائم في أحيان أخرى، إذ إن الشتم والسباب جزء من التعبير عن الغضب ووسيلة للتنفيس عن الكبت والمخاوف إضافة إلى كونها وسيلة محاربة.

لماذا نلجأ للسُباب؟

وجدت أثناء بحثي عن موضوع مفردات الشتائم بأنها طريقة مشابهة للبكاء؛ فهي طريقة علاجية مثله تماما إلا أنها الوجه القوي للبكاء، فعندما تلعن شيئا أو شخصا وكأنك تدعي بذلك أنك بخير وتفوقه قوة، كقولك بأن شيئا غير مبارك سوف يحل بهذا الشيء أو الشخص.

ولهذا السلوك رابط ديني تم اكتشافه عبر التاريخ، فمثلا لابد أنك سمعت عن لعنة الفراعنة، حيث تم اكتشاف جملة على قبر (توت غنخ آمون) تقول التالي: (سيضرب الموت بجناحيه كل من يعكر صفو الملك)، ناهيك عن اللعنات المذكورة في الكتب المقدسة حيث لعن الله (قايين).

واللعنة ما هي إلا إعلان عن سوء الحظ وانقطاع البركة عن هذا الشخص الملعون. ويحدث هذا الشيء -اللعنة أقصد- عند معارضة شخص لجماعة أو إرادة واحدة تتمثل في ملك أو دكتاتور وقد يمتد الامتثال لهذه السلطة حتى بعد الموت كما هو مكتوب على قبر عنخ آمون، أما عن المطلوب من ذلك الترهيب فهو إبقاء الأفراد تحت السمع والطاعة وليكون الفرد تام التهذيب عليه ذلك وإلا فستحل عليه اللعنات.

تطور السُباب عبر التاريخ

وطأة هذه الفكرة بقيت سائدة مع تطور الأمم من الحضارات القديمة حتى اليوم ولكنها تطورت كما تطور كل شيء، ومن ضمن ذلك اللغة. وعلى الرغم من أن العناصر النفسية قابلة للتغيير إلا أن بعضها باق ما بقينا وقد تختلف تجلياتها فقط من عصر إلى آخر؛ فبداية السُباب والشتائم كانت مرتبطة ارتباطا وثيقا بالدين والإله كونه السلطة العليا والأكثر تخويفا للشعوب، ثم حدث تطور من استخدام (لعنك الله) أو (لتحترق في الجحيم) إلى استخدام الفضلات في اللعن والشتم وأعنى هنا الفضلات البشرية التي تحولت في أغلب اللغات إلى لفظة مستخدمة لإهانة الشخص المراد شتمه وصارت شائعة أكثر من طلب لعنة الله أو لعن إله الشخص المقابل ولربما حدث ذلك بسبب تطور الوعي واختلاف عناصر ومعايير التخويف والترهيب عبر الزمن.

ويذكر بعض المحللين النفسيين بأنها كلمة تشعرك بالراحة لمجرد لفظها، فكما ذكرت سابقا بأن التلفظ بهذه المفردات يعطيك شعورا بالتفوق ويمكّنك من تحمل الألم ولربما استخدام الألفاظ النابية يمكّنك أيضا من السيطرة على شعورك بشكل من الأشكال، ولست متأكدة هنا من المنطق العلمي لهذا الأمر إذ إن الاختلافات النفسية بين فرد وآخر متباينة جدا ولا نستطيع الجزم بذلك إلا أننا نعلم بأن هذا الأمر يحدث عند الاضطراب والاضطراب بدوره يولد الغضب، والتلفظ بالألفاظ النابية تجلٍّ لهذا الغضب البشري.

أعضاء المرأة الجنسية كلفظ للإهانة

مواجهة السلطة من خلال عضو المرأة

في المظاهرات اللبنانية السابقة استخدم المحتجون والمتظاهرون الألفاظ والشتائم الجنسية لمجابهة فساد السلطة، وتحديدا الشتائم المرتبطة بالعضو الجنسي الأنثوي. وهذه ليست مصادفة أو رواسب لغوية عالقة في وعينا الجمعي، بل إنها ما حالت إليه قصة تطور الشتائم حتى صارت هذه الشتيمة هي الأكثر شيوعا؛ كاستخدام عضو المرأة كأداة إهانة للطرف المقابل وكأنهم بذلك يقولون أنت لست منا أنت ابن امرأة (عاهرة) منبوذة وبذلك تكون منبوذا أيضا.

صار عضو المرأة الجنسي هو الأضحية التي تتناولها الألسن بهدف الإقصاء والنبذ ويحدث ذلك بموافقة الجميع على أنه عمل بطولي ينم عن قوة وانتصار، ففعل وطء أم الحاكم مثلا تصرف ينم عن نجاسة ويراد به الإهانة إذ إن النساء المرتبطات بكيان شخص ما يمثلن شرفه وهذه الفكرة ما هي إلا فكرة سارية مثلها مثل الأعراف الأخرى حتى الآن، بل ويبدو بأن الشتم باستخدام عضو المرأة أمر باعث على الفرح والسرور لكلا الجنسين!

وباعتبار أن هذه الأصوات الثورية التي تطالب بحقوقها بعد انشقاقها عن الجوقة (النظام) تقوم بعمل بطولي من خلال نضالها فلا بد أن تكون أكثر وعيا إلى استخدام ألفاظها، ولكنني أعلم يقينا تاما بأن هذا أمر بالغ الصعوبة إذ إننا تعودنا على التعبير عن غضبنا من خلال استخدام الألفاظ ذاتها فمثلا لم ننشأ على شتم شخص كأن نقول له قذر أو أرعن أو صفيق وأحمق، بل نتوجه فورا إلى شتم أمه أو أخته دون أدنى ذرة تفكير.

وكي لا نظلم الجميع فقد ظهر توجه آخر مناهض لهذا السلوك من خلال الحراك النسوي في عدة ثورات ومظاهرات في عمّان وبيروت، إلا أن الصوت الأعلى للشتم باستخدام العضو الجنسي للمرأة كان هو سيد المشهد أو لنقل سيدة على الأقل! إذ إن العضو يخص النساء.

أصل الكلمة ودلالاتها النفسية

ماذا قد يفيدنا معرفة جذر الكلمة و تتبع سياقها التاريخي؟

أجاب على هذا السؤال الدكتور عبدالرحمن السليمان وهو لغوي وأديب ومترجم، يقول الدكتور بأن تتبع أصل الكلمة وجذرها يفيدنا في معرفة كيفية استخدامها وأن الإيتيمولوجيا أو ما يسمى بالعربية علم التأثيل (تتبع أصل وجذور الكلمات) إضافة إلى علم اللغة المقارن وهو (علاقة الصيغ ودلالتها المعنوية) يوضح لنا تاريخية هذه المفردات التي نستخدمها بغية تصويب الأخطاء والمفاهيم المستخدمة وضبطها في اللغة؛ إذ إن اللغة العربية -بحسب قوله- تحتوي على فوضى مصطلحية وقد يحمل مفهوم واحد عدة معان ودلالات؛ لنأخذ الفعل (باع) على سبيل المثال، فهو فعل يحمل معنيين معنى البيع ومعنى الشراء في آن معا ولا يظهر المعنى المراد به إلا من خلال السياق الكامل للجملة.

أما بالنسبة للألفاظ النابية فلم تكن كذلك إلا عندما وظفناها هذا التوظيف عبر الزمن، وفي بحث سريع على الإنترنت قد نجد قصصًا كثيرة وتأويلات، فمثلا إذا بحثنا عن أصل كلمة (قحباء) فسنجد قصة الكثبان الرملية المرتفعة التي يصعد عليها الرجال في الصحراء وهو فعل يدل على ركوب الشيء وتم إسقاط هذه الصورة على المرأة التي .

توصف بذلك إذا كانت تمارس الجنس كثيرا مع رجال متعددين.

وذلك يجعلنا نفكر بكيفية تحول لفظ عضو المرأة إلى مسبة، إذ إن ذكره فقط يعطي دلالة على القيام بفعل المضاجعة دون ذكرها صراحة.

نهاية، إن ما لا يجوز المساس به يستخدم لعملية تحقير وإذلال عبر عبارات تبرز فعلين (مقدس ونجس) وأن ما يجري حظره كما يقول فرويد في كتابه الطوطم والتابو يكون الأكثر اشتهاء، فالرغبة في السباب تتزايد مع حظرها، بيد أننا نستطيع تعديل المصطلحات المستخدمة للسباب والتعود على عدم ربط أعضاء المرأة كأداة تحقير وإهانة، عضو المرأة يقوم بعملية بيولوجية هامة مثله مثل العضو الذكري تماما، عضو المرأة ليس مقدسا ولا نجسا كذلك

جرائم الشرف ضد النساء:
شكل من أشكال القتل العمد في الكويت

عبد العزيز القناعي
كاتب وصحافي

مرعب أن تتوقع المرأة بأنها ستكون الضحية القادمة، ومرعب جدا أن تقتل النساء في وسط أهلها وقبيلتها وعائلتها المحبة، والخطير أن يحدث كل هذا وسط صمت وسكوت غالبية الشعب والمجتمع والحكومة والقانون.

في فترة زمنية بسيطة (قد تحسب بكونها ظاهرة وليس استثناء)، تم نحر وقتل عدد من الفتيات والنساء في الكويت، على خلفية قضايا عائلية، كان الشرف فيها، الدافع الأكبر والمحرك الأعنف لنحر الضحايا دون رحمة أو أخلاق أو احترام للمرأة بكونها حرة في حياتها واختياراتها. وتعيش الكويت، رغم حداثتها المادية وأبراجها المرتفعة ومبانيها الفاخرة ورفاهية شعبها الذي يسافر إلى كل العالم، ويلبس أفخر الملابس، ويأكل بأرقى المطاعم، ويركب أحدث السيارات، تعيش الكويت، كحال غالبية البلدان والمدن العربية الأخرى، ثقافيا وفكريا وقبليا وتدينا، بأسوأ الأفكار والأخلاق والقيم والتقاليد، حيث يحتكم المجتمع إلى هويات دينية وقبلية وطائفية، قدمت أبشع التجارب في الدفاع عن المرأة وحقوقها، وأسهمت في تعظيم وتقديس قيمة الرجل حتى لو كان طفلا صغيرا على حساب حقوق المرأة حتى لو كانت امرأة راشدة، ودعمت كل ما من شأنه مراقبة النساء منذ الصغر والتحكم في مسار حيواتهم وزواجهم وتعليمهم وحتى وفاتهم.

هذه الهويات، لم تتغير منذ بدايات تكون المجتمعات العربية البدائية، ولم يطلها مشرط النقد والإصلاح والتجديد والتحديث، ولم يقترب منها أحد، حكوميا وفكريا، خوفا من تبعات الخطوط الحمراء، وخوفا من السجن والقتل والقضايا الكيدية. وبهذا الوضع استمر السكوت عن قضايا قتل النساء، واستمرت الأصوات ترتفع لفترة بسيطة، ثم سرعان ما يتم إخمادها وتخديرها وتطمين الحكومات للشعب بأن العدالة سوف تتحقق،

وبأن القاتل سوف يأخذ جزاءه، وبأن القانون سوف ينفذ على الجميع دون تحيز أو محاباة. لكن ما يحدث بعد أن تدفن الضحية، وقبل أن تجف دموع أهل القتيلة، أن تتدخل الوساطات والزيارات الكبيرة لرؤوس العائلات والقبائل وعلية القوم، ثم تبدأ الدولة والحكومة بالتراجع بفعل الضغوطات والترضيات والصفقات والسكوت عن الفساد والسرقات، بمقابل إنقاذ ولدنا من الإعدام أو على أقل تقدير حبسه لفترة بسيطة ليخرج بعدها منتصرا مزهوا بقتله لأخته أو زوجته أو أمه أو قريبته، مسحا للعار ودفاعا عن شرف العائلة والقبيلة والأسرة والتقاليد.

وحتى لا يتم اتهامنا (كالعادة)، بأننا لا نتكلم عن جرائم الغرب ضد النساء، رغم أن بعض المقالات ليست للمقارنة وإنما لتحليل الوضع القائم (لكن مين يفهم). وحتى لا نصب جام غضبنا على واقعنا العربي، وتحديدا في الكويت هذه المرة. أقول بأن العنف ضد المرأة، يقع في كل المجتمعات تقريبا، ويطال المرأة بدافع جنساني متحيز وسهل، وفي غالب الأحيان، لا يحاسب مرتكبو هذه الجرائم، بقدر ما يسهل لهم الإفلات من العقاب. وأيضا أقول تقتل المرأة في الغرب، على خلفية قضايا عنف وسرقة واعتداء. لكن ما يجعل الفارق واضحا وكبيرا بين قضايا العنف ضد المرأة في الغرب، وقضايا العنف ضد المرأة في الشرق، هو ثلاثة أشياء فقط:

> العنف ضد المرأة، يقع في كل المجتمعات تقريبا، ويطال المرأة بدافع جنساني متحيز وسهل

وجود القانون في الغرب وتطبيقه على المعتدي دون واسطة أو تدخل ديني أو طائفي أو قبلي، بينما يغيب القانون ويضعف ويتم اختراقه في الشرق.

إن الجهود الرامية إلى وقف الاعتداءات على النساء، يجب أن تنطلق بعيدا عن الأحكام المسبقة، والنوايا السلبية، والشكل الخارجي للمرأة، وأسبابها الخاصة التي تدفع القاتل لقتلها. إن مواجهة الاعتداءات على النساء، تتطلب اتخاذ إجراءات قانونية مشددة لا يمكن أن يفلت المعتدي منها، بل ويتم مطاردته إلى آخر مدى، بل وأيضا أن يتم حرمانه من بعض المميزات المتعلقة براتبه ووضعه العملي، وأن يتم التشهير به حتى يكون عبرة لغيره. إن مواجهة الاعتداءات على النساء في الكويت، يتطلب توفير قدر كاف من الموارد المالية، ودور الإيواء للمعنفات والمعرضات للخطر، كما يتطلب الأمر حظر كل أشكال العنف ضد النساء، وتشريع القوانين والسياسات والإجراءات والممارسات المتعلقة بكيفية منع الاعتداء على النساء، من خلال إقامة البرامج التدريبية والإعلامية التي تدعم المساواة وتعزز الجندرية في العائلة والمدرسة والمجتمع، وقيام عدة مراكز للرصد والمتابعة والتحقيق.

إن مواجهة الاعتداءات على النساء في الكويت والمنطقة العربية، تتطلب استيلاد وعي جديد، وثقافة قانونية وحقوقية يتم تعليمها في المدارس والجامعات، حول معنى وقيمة المرأة والحرية والجنس والحياة، حول دورها الإنساني والحضاري في تقدم المجتمع أو تراجعه، حول قدرتها العقلية والفكرية مع الرجل في الإبداع والتمكين والتطور والخلق والصناعة، حول وجودها كضرورة مدنية وقيمة ديمقراطية ووجود كامل يشع جمالا وبهاءا واحتراما.

إن مواجهة الاعتداءات على المرأة، مسؤولية دولة وحكم ومجتمع ورجال ومؤسسات مدنية. إن مواجهة الاعتداءات على النساء تتطلب تغيير العديد من التشريعات والقوانين، خصوصا

“إن مواجهة الاعتداءات على النساء في الكويت والمنطقة العربية، تتطلب استيلاد وعي جديد، وثقافة قانونية وحقوقية يتم تعليمها في المدارس والجامعات، حول معنى وقيمة المرأة والحرية والجنس والحياة”

المادة ١٥٣ من قانون الجزاء الكويتي لعام ١٩٦٠ التي تنص على "إذا فاجأ الرجل زوجته في حال تلبس بالزنا أو ابنته أو أمه أو أخته وقتلها في الحال أو قتل من يزني بها أو قتلهما معا، فانه يعاقب بالحبس مدة لا تتجاوز ثلاثة أعوام وبغرامة لا تتجاوز ثلاثة آلاف روبية (تعادل ٤٥ دولارا)، أو بإحدى هاتين العقوبتين".

وبهذه المادة التحريضية على القتل، أصبح قتل المرأة في الكويت ببلاش، وتقريبا بفترة يخرج منها المعتدي والقاتل بعد مرافعات قانونية تعظم من شأن الشرف والرجولة والفخر والدفاع عن العائلة والتقاليد والقبيلة وحق الوصاية للرجل على المرأة دينيا وفقهيا وتشريعيا.

في الكويت، لم تعد المرأة الكويتية، تلك التي تعلمت في المدارس والجامعات كأوائل النساء المتعلمات، تلك التي اختلطت مع الرجل في الجامعة والعمل والمجتمع، تلك التي سافرت إلى الخارج بدون محرم أو وصاية دينية أو قبلية، تلك التي حرقت البوشيه وكشفت عن وجهها وشعرها وجمالها دون خوف من التقاليد ولحى تجار الدين، تلك التي دافعت عن حقوقها وحريتها وكرامتها من على كل المنابر، تلك التي كتبت في الصحف والمجلات المحلية والإقليمية والدولية، تلك التي رسمت وغنت ورقصت وتفوقت علميا ورياضيا وأخلاقيا، تلك التي شاركت في بناء الدولة وقيادتها في المناصب الحكومية الرفيعة. لكن للأسف، لم تعد الكويتية اليوم كما كانت في السابق، بعد أن أثقلتها القيود، وأرعبتها وصاية الرجل، وخذلتها الحكومات، وخدعها أصحاب القوانين والمحامون وأعضاء مجالس الأمة، وكذب عليها رجال الدين حين قالوا لها بأن أكثر أهل النار من النساء، وأن عليها أن تتحجب وتتنقب وتتزوي بالحياة وتسمع وتطيع الرجل لأنها عورة وفتنة ورديف الشيطان ومكر الغواية وقاع جهنم ولا تفهم بالحياة العملية. لم تعد الكويتية ذات قيمة حضارية ملهمة ومبدعة ورافضة ومتمردة وثائرة، بعد أن حاربتها نسوة مثلها، بعد أن شطت بعيدا عن الحداثة والمساواة والعدالة والعلمانية، بعد أن استكانت لدعوات المجتمع المحافظ وخصوصية الكويت وبقية تخاريف الجهل والرثاثة.

وما زاد في الأمر مصيبة، أن من يشتغل على دعوات الدفاع عن المرأة وحقوقها في الكويت، هم مجرد صبية لا يفقهون بالحريات والمرأة والمساواة شيئا، هم مجرد غالبية من تيارات سياسية ووطنية وديمقراطية تتاجر بالمرأة لتحلب صوت المرأة وجسدها، هم أصحاب رغبات ونزوات وتاريخ حافل بالكذب والخداع والتسويف وحب الظهور الإعلامي، هم مجرد أصحاب لحى عفنة يريدون صوتها في الانتخابات ثم يطالبونها بالعودة إلى المطبخ وسرير مغتصبها، هن مجرد نسويات لا يعلمن شيئا عن تاريخ النسوية، هن مجرد نساء رخيصات أردن التخلص من قيد واحد وترك بقية القيود على عقلهن وأجسادهن، هم مجرد خنجر مسدد إلى قضايا المرأة، استمر بالنزيف، وما تزال دماؤه تخضب أجساد الضحايا وترفع من شأن ليلة دخلة القاتل.

مواطن
بودكاست تاريخ الإسلام
لسماع البودكاست زوروا موقعنا

حوار مع جمانة حداد

حول الحرية والجـــنس والسيـــاسة

• حاورتها يارا اليوسف

تظل الأنثى منذ نشأتها حتى وفاتها مربوطة من عنقها بأغلال في يد رجل من عائلتها حتى يتم تسليم هذه الأغلال إلى زوجها، فتنشأ المرأة كمخلوق ساذج وتابع، وفي كل مرة تقع في الحب بعيدًا عن القوالب الاجتماعية المقبولة أو تمارس حريتها الجنسية خارج الإطار المسموح به، يَخُط عليها المجتمع بقلم الأخلاق وصم عاهرة، وعلى أثر هذا القمع الواقع فقط على المرأة التقت "مواطن" مع الكاتبة والمترجمة اللبنانية "جمانة حداد" لتأخذنا في رحلة حول مؤلفاتها وأفكارها المتمثلة في قيم المساواة وحرية الاختيار والجسد.

- "الأديان كرّمت المرأة"؟ صراحة، هذه اسطوانة معلوكة.
- هناك نوع يتوهّم أن رجولته تكمن في إخضاع مَنْ هم جسديًا أو اقتصاديًا أو سياسيًا "أضعف" منه.
- أن تمارس الجنس مع ألف رجل (أو امرأة)، أو ألا تمارس. أنا لا أعترف بما يسمّونه "عهر جنسي".
- ليس هناك عهر في الجنس. العهر موجود حصرًا على المستوى الفكري والسياسي والاقتصادي والديني.
- على النساء أيضًا، أن يتوقفن عن الارتعاد خوفًا من الرغبة الأنثوية.

> "لا أحد يتعجب من الاجتماع البديهي بين العناية بالخارج والعناية بالداخل إلا نحن العرب. لماذا؟ لأن من يهتم بالشكل تافه حكمًا في عرف مثقفينا، ومن يهتم بالثقافة مهمل لشكله حكمًا في عرف أهل الأناقة والجمال عندنا". هكذا قتلتْ شهرزاد

١. استنكرتِ تصنيف المجتمع للمرأة الجميلة على أنها غبية وساذجة، والمرأة المهملة لمظهرها على أنها هي المثقفة والفهيمة. كيف ترين هذه الثنائية؛ خاصة أنك إحدى هؤلاء النساء اللاتي كسرن هذه القولبة المجتمعية؟

للأسف هي ثنائية "صامدة" رغم كل التطوّر الذي يحدث حولنا في العالم. لا ثورات المعرفة المتتالية قدرت عليها، ولا الجهود النسوية والإنسانوية، ولا النماذج الكثيرة التي تناقضها وتبطلها على الأرض، ولا انفتاح العوالم بعضها على بعض. ذلك لأن ربط الشكل بالمضمون والعكس بالعكس هو أحد الأحكام الذكورية المهينة حيال المرأة التي لا تعدّ ولا تحصى في مجتمعاتنا خصوصًا، وفي العالم كله عمومًا، والتي ما زالت بـ "صحة جيدة"، مهما هدّدها الوعي وعارضها الواقع. لماذا لا تزال بـ "صحة جيدة"؟ لأنها تضع المرأة في جارور، تختزلها وتمنع تمدّدها، "المرأة كذا والرجل كذا. هذا ما تجيده المرأة وذلك ما يستطيعه الرجل، لا يجوز لها لأنها امرأة ويحقّ له لأنه رجل. ينبغي لها أن تَقنَع بقدرها (وقدرها طبعًا وحصرًا الزواج والإنجاب والطبخ والنفخ)، أما فهو فيجب ألا يكون هناك حدّ لطموحاته. الخ.".

والأنكى أن أعدادًا هائلة من البشر ما زالت تربّي أبناءها وبناتها على هذه الكليشيهات والأدوار المنمَّطة. أبناء وبنات يكبرون على الإيمان بهذه المغالطات والمظالم إيمانًا شبه أعمى يحول دون اغتنامهم أي فرصة انعتاق منها قد تتاح لهم في المستقبل. ثمة من ينعتق طبعًا، لكنّ هؤلاء هم الاستثناء، وليست العملية سهلة: تحتاجين إلى الكثير من القوة لكي تكسري القالب وتخرجي منه وتعيدي تشكيل نفسك بمنأى عن تأثيرات نشأتك وبيئتك. لأجل ذلك من الجوهري والحيوي التمهيد للانعتاق، أكان فكريًا أم جسديًا، منذ الصغر، منذ الأصل، منذ نقطة الانطلاق. لن تتكسر الصيغ الجاهزة التي تكبّل تقدّمنا وتحدّ من قدراتنا كمجتمعات، إلا متى ترافقت تربية الأطفال مع وعي تنويري يتحدّى هذه الموروثات البالية، ويجهّز أجيالًا جديدة تفكّر بحرية وتعبّر بحرية وتعيش بحرية. متى يحدث ذلك؟

نحتاج إلى الكثير من الوقت، الكثير من التراكم، والكثير من الإرادة الصلبة والمعارك الطاحنة مع الجهل. نحن الآن ما زلنا -في غالبيتنا- "روبوتات" خاضعة للبرمجة التي نتعرّض لها منذ أن نرى النور. برمجة في البيت، برمجة في المدرسة، برمجة في التعاليم الدينية، برمجة على التلفزيونات وفي وسائل التواصل الاجتماعي، كل هذه العناصر تتضافر ضد الوعي الفردي منذ الطفولة، وتحدّ من مقدرة الإنسان على المساءلة واتخاذ القرارات. ما إن نكتسب القوة، والجرأة على طرح أسئلةٍ تشكّك فيما يُقدَّم لنا كبديهيات مطلقة، آنذاك يبدأ مشوارنا نحو الوعي والحرية، آنذاك نكفّ عن كوننا محض "متلقّين" ونصير فاعلين، والأهم: نصير مالكين لحياتنا وقراراتنا.

> كتبت في "عودة ليليت" على لسان الله: "كم هول البلية التي أنزلتها بالأرض عندما نفيتها، وقد راعني عصيانها، فرجوتها أن تبقى ولم تبق، واخترعت لأجلها آدم فملته ورحلت وتمردت وعصتني فأرسلتُ ملائكتي لإرجاعها فأبت وعصتني"

٢. هل ترين أن الذكر الشرقي يشبه الله في أنه يحب الأنثى المتمردة ليليت، وفي نفس الوقت يغضب لأنه لا يحتمل قوتها وجرأتها، ويبقى على حواء المطيعة المصنوعة من الضلع الأعوج ثم يندم على غياب ليليت؟

حسبي أنه لا يحبّها، لا لأنه لا يقدر أن يحبّها، وهو لا يقدر أن يحبّها لأنه لا يفهمها ولا يستطيع استيعابها ولا قدرة لديه على وضعها في خانة. الأصحّ أن نقول إنه "يشتهيها"، إنها تجذبه كالمغناطيس، لكنها ترعبه في الآن نفسه. هي أنثى حرّة، عصية على التبويب، وكل ما هو حرّ ويستعصي على التبويب يخيف الذكر الشرقي الذكوري (أضيف صفة الذكوري كي لا نقع في فخ التعميم). أصلًا هذا النوع من الذكور ليس إلا طفلًا يرتعد خوفًا، يتوهّم أن رجولته تكمن في تخضيع (وأحيانًا تعنيف) مَنْ هم جسديًا أو اقتصاديًا أو سياسيًا أو اجتماعيًا "أضعف" منه، يتوهّم أنه هكذا يظهر جبّارًا ويخفي خوفه عن الآخرين، بينما هو في الحقيقة لا يفعل سوى تشويه معنى الرجولة والهرب منها إلى عكسها تمامًا. كل عنيف وبطاش وطاغية هو حكمًا جبان، هو حكمًا يفتقر إلى الثقة بالنفس، هو حكمًا مستعد لأن يفعل أي شيء مهما كان ما يفعله فظيعًا أو مجرمًا أو حقيرًا، لكي يثبت أنه قوي وبطل وغير هش. ولكن مَنْ بين البشر ليس هشًّا؟

جميعنا هشّ بلا استثناء: إناثًا وذكورًا ومروحة كلّ مَن يقعون بين هذين، كبارًا وصغارًا، شرقيين وغربيين، أغنياء وفقراء... الخ. جميعنا قابلون للانكسار والحزن واليأس والمعاناة، هذه من شروط أن يكون المرء على قيد الحياة. وقبول هذه الهشاشة واحتضانها وعيشها بلا شعور بالعار أو الرفض أو الغضب، هو القوّة الفعلية. وقبول أن المرأة شريكة مساوية وليست ضِلعًا، هو القوّة الفعلية. متى يعي كل رجل ذلك؟ آمل أن يكون قريبًا، قبل "الطوفان".

٣. كتاب "سوبرمان عربي" يبدأ بمقدمة بعنوان "لماذا أنا ملحدة". هل ساورك القلق عند الإعلان عن توجه مثل هذا؟ ألم تخشي أن تفقدي الكثير من جمهورك النسوي؟ خاصة أن بعض النسويات يعتقدن أن المجتمع هو الذي سلبهنّ أغلب حقوقهن وأن الأديان السماوية كرّمت المرأة؟

أنا لا أكتب ولا أفكّر ولا أعيش من أجل "جمهور"، مهما كان هذا الجمهور، لكي يساروني قلق كهذا، أنا أكتب وأفكّر وأعيش من أجل إرضاء قناعاتي ومبادئي وأحلامي والأصوات الكثيرة في داخلي، من أجل ممارسة حقي في أن أكون مَن أنا بلا رتوش ومسايرات ومساومات، أيّد مَن أيّد وانزعج من انزعج. أقول ذلك بكلّ ما قد يوحي من أنانية وتمحور حول الذات. لن أشتري أي قرّاء أو جمهور. أحترم الناس أكثر من أن أفعل ذلك. لن أستميل أحدًا بواسطة الكذب والمناورة والزعبرة: هذه إهانة صفيقة للآخر.

المعادلة في الواقع بسيطة، بل بسيطة للغاية. أكتب نفسي، بكل ما فيها من حسنات وسيئات، من مزايا وأخطاء، من جمال وبشاعة، ثم أقوم بنشر ما كتبت. البعض يحبّه والبعض الآخر لا. البعض يحبّه لأنه يجد نفسه فيه، والبعض يكرهه حتى قبل أن يطّلع عليه. وللجهتين الحقّ المطلق في أن يفعلا ذلك، مثلما لي الحق المطلق في أن أكون حقيقية. المنطق نفسه ينطبق على قضية النسوية: أنا شخصيًا لا أرى أن كرامة المرأة وحقوقها تتناغم مع التعاليم والنصوص الدينية. وحقي أن أقول رأيي هذا على الملأ، مثلما هو حقّي في ألا أكون مؤمنة (والمسألتان منفصلتان في المناسبة، أي أنني لستُ ملحدة بناء على "موقف نسوي"، بل لأني لم أعد أؤمن بالدين وأعتبره اختراعًا بشريًا). في المقابل، ثمة نسويات مؤمنات يرين العكس، ويعتقدن أن الأديان تكرّم المرأة، ومن حقّهن أن يعتقدن ذلك ويقلن ذلك، وأن يكنّ في حاجة إلى التمسّك بإيمانهنّ. ما ليس من حقّهن ولا من حقّ أي أنسان، هو حرماني من حقي أنا وحق آخرين في تحدي هذا الاعتقاد ومساءلته.

> "الأديان كرّمت المرأة"؟ صراحة، هذه أسطوانة معلوكة، ولا تفاسير، مهما كانت خلاقة، يمكن أن تغيّر واقع أن المرأة مجرد ضلع في فلسفة الأديان التوحيدية الثلاثة، وأنها محض تابعة للرجل.

لا حلّ لنا إلا بالانعتاق؛ فالانعتاق ثم الانعتاق. كلٌّ على إيقاعه/ا طبعًا. وذلك سيحدث لا محالة، الزمن والعلم كفيلان بسحق الخرافات؛ فالتاريخ أثبت ذلك.

٤. عند التلفظ بعبارة "الحرية الجنسية"، أول ما يتبادر إلى أذهان أغلب العرب العهر الجنسي أو ممارسة الجنس بدون مسؤولية، فما هو مفهومك عن الحرية الجنسية؟

ليس أوضح منه مفهومًا: أن تكون المرأة الراشدة هي صاحبة القرار الأوحد والنهائي فيما يتعلّق بجسدها وجنسانيتها. أكان هذا القرار أن تمارس الجنس مع ألف رجل (أو امرأة)، أو ألا تمارس الجنس على الإطلاق. أصلًا أنا لا أعترف بما يسمّونه "عهر جنسي"، لا أعترف بالعهر مطلقًا في إطار الجنس، ليس هناك عهر في الجنس؛ فكل شخص حرّ بنفسه وجسده. العهر موجود حصرًا على المستوى الفكري والسياسي والاقتصادي والأيديولوجي والديني، العهر هو الطغيان، هو القمع، هو الفساد، هو النهب، هو غسل الأدمغة، هو شيطنة الآخر، وهلم جرًا.

أيضًا في سياق الحديث عن ممارسة الجنس "بمسؤولية"، لا يعني ذلك عندي ممارسة الجنس بـ "ضوابط"، بل حماية الجسد من الأمراض أو من أي حمل غير مرغوب بسبب ممارسته، تلك هي المسؤولية،

أيضًا وخصوصًا، في حال الشاب، عدم فرض هذه الممارسة على شريكته واحترام حقها في أن تغيّر رأيها حتى آخر لحظة.

٥. داخل الكثير من البيوت المغلقة امرأة شهوانية تخجل من التعبير عن احتياجاتها، ورجل ضعيف جنسيًا يعتبر نفسه "فحلًا" بسبب خجلها، فيذهب ليتزوج بأخرى لأن زوجته "باردة جنسيًا" أو يذهب لعاملات الجنس. ماذا سيحدث لو واجهت المرأة ذلك الرجل داخل كل بيت؟

لكانت العلاقات بين البشر أشدّ جمالًا وتألقًا وصدقًا وتلقائية، ولعاشت النساء حيوات مرضية ومشبعة أكثر من تلك التي يعشنها الآن، ولكان معظم الرجال نموا ونضجوا ليصبحوا رجالًا بحق. يجب أن يدرك الرجال والنساء على السواء أن ليس هناك فريق "الشهوانيات" من جهة، وفريق "المحترمات" من جهة ثانية. ازدواجية القديسة والعاهرة تتفّه العلاقات وتسطّحها. كل عاهرة قديسة، كل شهوانية محترمة. ولنا الحق في، والقدرة على أن نكون الاثنتين معًا بحسب ما يتطلّبه الظرف أو الموقف أو الرغبة، وعلى الرجال خصوصًا، ولكن على النساء أيضًا، أن يتوقفن عن الارتعاد خوفًا من الرغبة الأنثوية، هي رغبة جبارة نعم، لكنها بسبب ذلك، يمكن أن تكون مصدرًا لا متناهيًا من العطاء واللذة والتجارب. ليستثمروها.

٦. بعد تغليظ عقوبة الختان وانتشار ترميم البظر لإصلاح ما أفسده الختان، هل يدل ذلك على اعتراف المجتمع بأن للمرأة شهوة كالرجل، أم أنهم يمنعون الختان لخطورته الطبية فقط برأيك؟

أي اعتراف بأي شهوة؟ هذا سيناريو سوريالي مضحكٌ مبكٍ. لولا الحملات العالمية المتكرّرة ضد الختان لما اتُخذ قرار كهذا. مَن مِن المسؤولين العرب تهمّه شهوة المرأة ومتعة المرأة وحقّ المرأة في التلذذ بالجنس؟ هذا كله غير موجود، لا بل هو مرفوض تمامًا في العقلية الذكورية السائدة في أنظمتنا ومجتمعاتنا. فقط الرجل يتمتّع، والمرأة طبعًا موجودة لإمتاعه، هذا "حقّه الشرعي" وذلك "واجبها المقدّس". هي غالبًا في فراشه "شيء"، محض أداة. حتى في حال المرأة غير المختونة، قلّة هم الشركاء الذين يولون أهمية لمتعتها هي. ومن بين أولئك القلّة الذين يولون أهمية كهذه، ثمة عددٌ لا بأس به يفعل ذلك لكي يطمئنّ إلى فحولته هو، ليس لأنه يريدها بالضرورة أن تتمتّع، هذه هي الحقيقة الفجّة والمرّة.

٧. ما المبادئ التي جاهدت بكل قوتك لتعليمها لابنيك حتى لا يصبحا مع الوقت "سوبرمان عربي مزيف" وليكونا رجلين حقيقيين؟

الحرية، النزاهة، النبل، الإصغاء، الشجاعة، الكرم، الجرأة على الحلم، التعلّم المستمرّ، احترام المرأة وقدراتها وطموحاتها وحريتها، التعاطف مع الآخرين، المنافسة مع الذات...

باختصار: القِيَم التي تجعلنا بشرًا جديرين بإنسانيتنا.

٨. ما أكثر كتاب مقرّب إليكِ من بين كتبكِ؟ وعندما تتصفحينه تشعرين أنكِ وضعت جزءً منكِ فيه؟

في كل واحد من كتبي، في كل واحد منها بلا استثناء، جزء مني. بعض تلك الأجزاء في كتب معيّنة تكون أكبر من سواها في كتب أخرى، لكني موجودة فيها كلّها، واحدًا واحدًا وصفحة صفحة. أصلًا لا أعرف أن أكتب من دون أن أنهش بعضًا منّي وأحوّله كلمات. وأعلم أني في آخر المطاف، عندما أكتب كتابي الأخير في هذا العالم، سأكون أنا مجموع كل ما كتبت على مرّ الكتب والوقت. كمثل "بازل" يمكن تجميعه قطعةً قطعةً، لكي يعطي صورة كاملة عنّي.

٩. في عام ٢٠١٨ صرحت خلال حوار لكِ "أن غالبية النواب لا يمثلون ناسهم ولا مصالحهم وحقوقهم وهمومهم". هل ترين أن هناك أملاً في وجود ديمقراطية حقيقية تمثل مصالح الشعب اللبناني في أحد الأيام؟

هناك أملٌ طبعًا؛ بل يجب أن نخترع هذا الأمل اختراعًا رغم أن الواقع صعبٌ ومعقّد للغاية. السلطة الحاكمة، أو بالأحرى "العصابة" المستحكمة بنا، مدّت جذورها تحت الأرض، وفي كلّ مكان، بحيث إنّه بمجرّد التفكير في استئصال شرشٍ واحدٍ من شروشها، سيكون مدعاةً لتفريخ ما لا عدّ له وإحصاء من الشروش المتجذرة في كلّ شيء، وفي كلّ مؤسسة. هذا هو الواقع. لكني لن أسلّم به، ولن أدعو أحدًا إلى الاستسلام له. لبنان يستحق أكثر من ذلك، نحن نستحق أكثر من ذلك، وسنعمل على تحقيق ما يستحق ونستحق، مهما تطلب الأمر من جهود وصبر ووقت ومواجهات شرسة. لا خلاص لنا في لبنان، وفي العالم العربي أجمع، إلا بدول علمانية، عادلة، حرّة، ديموقراطية وحديثة. وسوف نجعلها حقيقة رغمًا عن أنف كل ظلامي وكل فاسد.

١٠. منصور لبكي اعتدى على أكثر من فتاة، ومن بينهم سيليست عقيقي ابنة شقيقته، ورغم حكم المحكمة الفرنسية عليه بالسجن ثمان سنوات؛ رفض لبنان تسليمه إلى فرنسا! هل يدعم الاستبداد السياسي الاستبداد الذكوري؟ كيف ترين العلاقة بينهما؟

أصلًا حتى الحكم بسجنه ثمان سنوات لا يتناسب مع هول جرائمه في رأيي. وعدم تسليمه نذالة مطلقة وبرهان شراكة في الجريمة، فضلًا عن كونه تصرفًا غير قانوني. ولكن عن أي قانون وأي عدالة نتحدث في دولة منهارة كدولتنا؟ في أي حال، لطالما كان الدين والسياسة متحالِفَين في الظلم والقمع والإسكات والعنف والتمييز والذكورية. هنا مبدأ "مصلحة الزعيم قبل كل شيء." وهناك مبدأ "مصلحة المؤسسة الدينية قبل كل شيء"، وفي اتحادهما قوة مضاعفة ومنفعة متبادلة. كلّ يبرّر للآخر جرائمه وفجوره وعنجهيته،

لا بل يسهّلها عليه. يكفي أن نراجع كم من الديكتاتوريات في تاريخ العالم احتمت بالدين، وكم من المؤسسات الدينية الفاسدة احتمت بالسياسيين. جرائم البيد فيليا المتسلسلة التي ارتكبها كبار وصغار كهنة الكنيسة الكاثوليكية في جميع أنحاء العالم (ولا يزالون يرتكبونها) بلا عقاب أو ملاحقة أو بغضّ نظر حقير من المسؤولين عنهم- الذين لم يفعلوا غالبًا سوى نقلهم من مدينة إلى أخرى-، تستحق ثورة بنيوية في المؤسسات المسيحية. وفي الدين المسيحي نفسه. هذه الجرائم التي بدأنا نسمع عنها منذ بضعة أعوام فحسب، تظهر أيضًا مدى تجذّر ثقافة الأميرتان المافيوية في تلك المؤسسات.

وهي الثقافة نفسها التي تحكم عالم السياسة وتحالفاته تحت الطاولة: "حكّلي تـَحكّلَك" نقول في لبنان. اسكت عنّي أسكت عنك، والتواطؤ بين الدين والسياسة حلفٌ شيطاني بامتياز. يكفي أن ننظر، كمثال واحد بسيط عن هذا السرطان الخبيث، إلى ما فعله تدخل الدين بالسياسة في لبنان، فقد حال وما زال يحول دون أن نصير شعبًا واحدًا، وحال وما زال يحول دون أن نتخلّص من طبقة حاكمة فاسدة تنهبنا وتقتلنا، وما زالت تجد من يدعمها بين الناس بسبب استغلال السياسيين للغرائز الطائفية. أكرّر: لا خلاص لنا إلا بالدولة العلمانية، العادلة، الحرّة، الديمقراطية والحديثة.

منديل الشرف الأبيض:
عادات ليلة الدخلة بين البلدان العربية

معاذ سعد فاروق
صحافي

تتميز بعض الدول العربية وعلى رأسها مصر، ببعض الموروثات الشعبية، التي أصبحت مع مرور الوقت عادات وتقاليد تعرف بها الشعوب، منها ما استمر حتى الآن وبعضها اندثر مع تطور الثقافات في المجتمعات، من ذلك ما كان يحدث في "ليلة الدخلة"، وهي الليلة الأولى بين رجل وامرأة جمعهما عقد شرعي، يلتقيان فيها بجسديهما.

"بيضت الشاشة يا عروسة"

البداية من مصر، التي يتمسك أهلها بالعادات والتقاليد بدرجة كبيرة، ومنها ما يتعلق بـ"ليلة الدخلة" من أمور كشفها أحمد أمين في مؤلفه "قاموس العادات والتقاليد والتعابير الشعبية"، بعد أن عرف الليلة بقوله: "هي التي يبني (يدخل) فيها العريس بالعروس"، موضحا أنه كان شاعا عند الفلاحين أن يتصل الرجل بزوجته في ليلة الدخلة، لاطمئنان أهلها على سلوكها، ودليل ذلك أنهم يعلنون عن سبق طهارتها ببقاء بكارتها (غشاء البكارة) إلى اليوم (ليلة التقائها بزوجها)، فيخرج أبوها بشاشة ملوثة، ويصيح هو وأهلها: "بيضت الشاشة يا عروسة"، ويغني النساء أيضا:

> "شرفت أهلك يا عروسة.. عليت رأس أبوك يا عروسة.. حلق في ودانك يا عروسة"

لم يكن الأمر يتوقف عند هذا الحد، لكن كما يذكر الأديب توفيق الحكيم في مؤلفه "ليلة الزفاف"، جرت عادة في قرى الأرياف أن تجتمع النساء على الباب ساعة التقاء الرجل بالمرأة، يصفقن ويغنين ويهللن، حتى ينتهي الأمر؛ فإذا تأخر عنهن الخبر غنين: "مرسالك غاب يا وردة"، فإذا علمن انتهاء الموقف (دخول الرجل بزوجته)، زغردن، ويكون معهن رجل ببندقيته فيطلقها في الفضاء إيذانا بالانتهاء.

ويصف إبراهيم فريد في مؤلفه "شفاعمرو: فسطاط السلطان صلاح الدين الأيوبي"، هذا الأمر بـ"البذاءة"، موضحا: "لكن أكثر العادات بذاءة حين يتجمع أهل العروسين على الباب ليلة الدخلة، وتكون أم العريس قد أعطت ابنها منديلا من الحرير ليغمسه في دم العروس بعد فض بكارتها، علامة كونها بكرة طاهرة".

الأمر بهذا الشكل المذكور كان يضع العريس في حرج، بسبب استعجال أهله في الاطمئنان على فحولته، وكذلك في المقابل أهل عروسه للاطمئنان على سلوكها، ما جعل بعض فلاحي مصر يخترعون ما يسمى بـ"الدخلة البلدي".

الدخلة البلدي ترفع الحرج عن العريس

ويعرف الروائي عمر طاهر، الدخلة البلدي، في مؤلفه "ألبومات عمر طاهر الساخرة"، بقوله: "هو اختراع شائع في الفلاحين يعفي العريس من أي حرج متوقع في ليلة الدخلة، وتتم الاستعانة فيه بإمرأة عجوز (تسمى في مصر الداية)، تفض بكارة العروس بنفسها؛ لتعلن للحضور أن (كله تمام).

وقد يفض العريس بنفسه غشاء البكارة بإصبعه، كما روت الكاتبة الراحلة نوال السعداوي، في الجزء الثاني من مؤلفها "أوراقي.. حياتي"، من واقع ما رأته بشأن ليلة الدخلة، في أرياف مصر التي عاشت بها، بقولها: "ليلة الزفاف تفض بكارة العروس بإصبع الداية أو العريس، يشق بظفره المدبب غشاء البكارة، يتلقى الدم الأحمر فوق البشكير الأبيض، يرفعه عاليا لتراه العيون المجتمعة في الحفل، تنطلق الزغاريد من حلوق النساء، يرفع والد العروس رأسه في زهو، لم يعد له زهو في حياته إلا دم ابنته العذراء، إن لم ينزف الغشاء ليلة الزفاف يضيع شرف الرجل، لا يسترد إلا بإراقة دم ابنته (قتلها)".

ويحكي المؤلف ياسر بكر في كتابه "حكايات من زمن الخوف - الجزء الأول"، تفاصيل المشهد في ليلة الدخلة كاملا، بقوله: "وفي ليلة الزفاف تزف العروس إلى دار عرسها، وتبدأ مأساة فض بكارة العروس؛ إذ تقوم الداية بالمهمة باستخدام إصبعها الملفوف بالمنديل، تساعدها سيدتان تمسكان بالعروس بشدة، وبعد فض البكارة بتلك الوحشية، يؤخذ المنديل المستخدم وبه آثار الدماء، ويطوف به أهل العروس القرية معلنين عن شرف البنت الذي لم يمس".

وربما يزيد البعض في ذلك الأمر فيعدون بدل المنديل الواحد، اثنين ملطخين بالدماء، أحدهما يطوف به الرجال شوارع القرية، وآخر تطوف به النساء وهن يرددن أغنية:

> "يا أبو الجدايل يا قصب.. عندنا فرح واتنصب.. خد المنديل بدمها.. ونزل يفرج عمها.. قولوا لأبوها إن كان جعان يتعشى.. يركب حصانه وفي البلد يتمشى.. قولوا لأبوها الدم عبى الفرشة "ملأ الفراش".. قولوا لأبوها إن كان تعبان يرتاح.. قفل متربس وجاله المفتاح."

أما المنديل الآخر فيحمله رجال العائلة على أطراف النبابيت (عصا كبيرة طويلة معروفة في مصر)، في خطوات أقرب إلى الهرولة (المشي بسرعة)، ويتقدمهم بعض حملة مشاعل النار على الشماريخ، وهم يتغنون بالأغنية:

يا برسيم على أول حشة .. جيت أحشه لقيته لسه

ويعقب ياسر بكر على ذلك بقوله: "كانت الغنوة ترمز مجازا إلى البكارة، والشرف المصان الذي لم يمس"، لكنه بعد ذلك يلفت الانتباه إلى كمية الدم التي كانت تظهر على المناديل المذكورة رغم كبر حجمها، الذي يصل في بعض الأحيان إلى ٥ أمتار، مستبعدا أن يخرج ذلك كله من المرأة.

يقول "بكر" من واقع مشاهدته لما كان يحدث في أرياف مصر: "كان يستوقفني كم الدماء التي تلطخ المنديل الذي يتراوح طوله من ثلاثة أمتار إلى خمسة، ما دفعني إلى مناقشة الأمر مع أحد الأطباء، الذي أكد لي أن هذا مستحيل من الناحية الطبية، إلا في حال النزيف، وتلك كارثة طبية، وأوضح أن (دماء المنديل على تلك الصورة ما هي إلا دم دجاجة أو أرنب مذبوح).

في الأردن والمغرب.. الأقارب ينتظرون أيضا

لم يختلف الأمر كثيرا في الأردن عن شقيقتها مصر، وإنما كما يروي المؤلف محمود سمرة، في كتابه "إيقاع المدى - سيرة ذاتية"، لا بد في ليلة الدخلة أن يخرج العريس بعد دخوله بالعروس، ليعلن للمنتظرين في الخارج أنه قد أتم واجباته الزوجية، وذلك بإعلان وجود دم البكارة على قطعة قماش بيضاء، عندها يأخذ المنتظرون بالتصفيق مبتهجين؛ لأن هذا يثبت رجولة العريس.

ويؤكد عبدالله رضوان، في مؤلفه "الرواية الأردنية على مشارف القرن الواحد والعشرين - دراسات تطبيقية"، هذا الطرح، فيقول: "ليلة الزفاف والدخلة يجب على العريس أن يثبت عذرية عروسه، وذلك بوضع الدم النازف بفعل فض البكارة على منديل أبيض؛ للتأكيد على عذريتها".

ويتحدث الدكتور المغربي الجيلالي الغرابي، عن غشاء البكارة، في مؤلفه "دراسات في الثقافة الشعبية"، قائلا: "تعتبر العامة دم بكارة العروس رمز عفتها وطهارتها، وصيانتها شرفها، ودليل حسن تربيتها، وكرم حسبها ونسبها".

ويكشف المؤلف عن عادات أهل دولته في هذه الليلة، فيقول: "قبل أن يلج (يدخل) العريس غرفة الزوجية بالجهة الشرقية من المغرب، يردد أصدقاؤه مرددة تعرف بأغنية (شبابيو)"، متابعا: "وتوضع الفتاة على المحك؛ فأما إن كانت بكرا شرفت نفسها وأهلها

وأثلجت صدر زوجها وأهله، وبعد ذلك مباشرة يحمل منديل تفتيق غشاء البكارة عاليا، ويردد أقارب الزوجين مرددات تعبر عن مدى فرحهم بهذه المناسبة، ومن ذلك قولهم مثلا: شوفوا يا لغزارا *** لا تكولوا هجالة"، ومعني ذلك بحسب الدكتور الجيلالي: "انظروا أيها الشباب العزاب دم بكارة العروس، إنها بكر، وليست ثيبا".

يشير إلى ذلك أيضا الدكتور غسان عبد الخالق في مؤلفه "المرأة التجليات وآفاق المستقبل"، قائلا: "كلنا يعلم أنه في جزء من المجتمعات المغربية في ليلة الدخلة يقف الناس صفا بجوار غرفة العروس وينتظرون من الرجل أن يثبت رجولته، بما فيه الكفاية، ليفض بكارة المرأة".

من ناحية أخرى، يجيب الدكتور المغربي حسن ريوش بلحسن، في مؤلفه "التراث الشعبي وأهميته التاريخية من خلال نماذج من الأمثال والعادات والطقوس"، عن سؤال قد يتبادر إلى الأذهان، وهو ماذا يفعل العريس إذا وجد عروسه على غير ما يريد؟، فيقول: "العريس الذي كان يريد أن يستر عروسه ويحافظ عليها إذا كانت ثيبا، كان يستعمل ماء الطماطم (القوطة)، أو يجرح أصبعه أو مكان ما من جسمه أو جسم عروسه، ويضع الدم على القميص ثم يخرج به، لكن التجربة كانت تمكن البعض من اكتشاف الحقيقة؛ لأن دم البكارة له لون ورائحة مميزين".

في فلسطين ولبنان .. العروس تحتفظ بالدم على منديل أبيض

وفي فلسطين لم يختلف الأمر أيضا عن سابقه، إذا تسمى الليلة الأولى من الزواج بـ"ليلة الدخلة"، ومن الأهمية بالنسبة لأهلي العروس والعريس، أن تكون الأولى لا تزال بكرا، كما أن تحتفظ بدم بكارتها على منديل أبيض لتريه لأمها وحماتها وقريباتها عندما يحضرن في اليوم التالي، أو ما بعده، وفقا لما ذكره يوسف أيوب حداد في كتابه "المجتمع والتراث في فلسطين: قرية البصة".

> "اتفقت معظم الدول العربية في عادات ليلة الدخلة على "المنديل الأبيض الملطخ بالدماء"

وعلى ما يبدو أن معظم الدول العربية، اتفقت في عادات ليلة الدخلة على "المنديل الأبيض الملطخ بالدماء"؛ إذ يكشف المؤلف إبراهيم محمد عمر في كتابه "هجمات اضطرارية - الجزء الثاني"، عن تفاصيل هذه الليلة في بعض المجتمعات السورية، ومنها مدينة حلب، فيقول: "ليلة الدخلة لها أهمية للفتاة الغجرية (الحلبية)، وأي أهمية لوالدها وإخوانها الرجال؛ فزوجها عندما يدخل عليها يُعطى منديلا أبيض بل ناصع البياض، على أن يخرج بعد (فك بكارتها)، حتى وإن كان بإصبعه، يخرج به في وضح النهار، أحمر ملطخا بالدماء، وهو ينشره بيديه عاليا فوق رأسه، فتأخذ النسوة في الزغاريد، وخصوصا والدتها وأخواتها البنات وصويحباتها ابتهاجا بتأكيد عذريتها".

اليمن السعيد كان له من تلك العادات نصيب، ففي بعض المناطق الوسطى، وما زال الأمر ساريا إلى الآن، كان بعضهم يعمد إلى إطلاق الرصاص ليلة دخوله على عروسه؛ للإعلان عن قدرته على فض غشاء البكارة، اعتقادا أن ذلك يؤكد شرف وعفة الزوجة، بحسب صادق الشويع في كتابه "المخيلة اليمنية".

ويصف اللبناني فؤاد إسحاق الخوري، ممارسة الرجال للجنس بـ"الدفاع عن الشرف والأعراض"، موضحا في مؤلفه "لغة الجسد"، أنه "ضرب من ضروب البطولة المعروفة بليلة الدخلة، أن ينتظر الأهل والعامة إبراز شهادة البطولة بإبراز (دم العذرية) للملأ، وفي هذا الإبراز شهادة تؤكد على عذرية المرأة وحسن تربيتها، كما أنه شهادة لصلاح الرجل وفحولته".

آثار الانقلاب الذكوري على المرأة:
موجز تاريخي للخيانة

أميرة حجلاوي
كاتبة وناشطة سياسية

من علامات تطور المجتمعات وجود علاقات إنسانية صحية تضمن الاحترام لكل أطرافها. ومن أعقد العلاقات الإنسانية، العلاقة بين المرأة والرجل. لذلك من المهم جدًا أن تخضع هذه العلاقة إلى مجموعة من القوانين أو الأعراف التي تضمن التوازن والتكافؤ. لكن للأسف ليس هذا حال البشرية في الوقت الراهن، فنحن نشهد عصرًا تسود فيه علاقات عاطفية مسمومة وعدائية. ولأننا نعي حجم الضرر النفسي لمثل هذا الواقع، فإن البحث عن أسبابه مهم. هذه الأسباب يمكن تنزيلها على كل المجتمعات، لأن نفس الظاهرة تفسرها نفس الأسباب.

لا يجب أن نتخيل أبدًا أن كل العلاقات العاطفية تتنزل حتمًا في الإطار الكلاسيكي ثنائي الجندر، وأن مثال العلاقة الناجحة هي علاقة توافق تجمع بين رجل وامرأة؛ إذ يختلف الناس وتختلف ميولهم وحاجاتهم النفسية والجسدية حسب هوياتهم الجنسية. رغم أن العرف السائد يميل إلى إقصاء بقية أشكال العلاقات؛ فإن ميدان بحث جديد أكد وجود أشكال ارتباط أخرى. هنا يجب التفريق بين النوع الجندري (نظرة الشخص إلى جنسه) والجنس البيولوجي (ما يحمله جسمه من خصائص)، وهذا ما أدى إلى ظهور مجموعات قوبلت بالرفض من كل الشعوب. ونظرًا لأهمية الجدل الذي أحدثته نتائج بحوث هذا الميدان، نتأكد مرة أخرى على أن العلاقات العاطفية هي قضية إنسانية. فكيف يجرم ويحرم المجتمع هذه العلاقات المختلفة عن السائد؟ والحال أن أصحاب هذه العلاقات لا يختارون هذه الميول بل تولد معهم؛ في حين يسمحون بالتسلط الذكوري في العلاقات الكلاسيكية الذي من الممكن تفسير ظهوره بالتطور الطبيعي، لكن لا يمكن إنكار سعى الرجل إلى تثبيته.

تطور العلاقة بين الجنسين عبر الزمن

طالما شكلت وستشكل طبيعة العلاقة بين المرأة والرجل قضية تثير الفكر، تسيل الحبر وتملأ الورق. تمثل ظاهرة الخيانة أخطر ما يمكن أن يهز العلاقة. طالما شهد التاريخ كما يشهد الحاضر وقائع خيانة من الطرفين، ورغم أن الرجل لا يحتكر حصرية هذا الفعل، فإن الدراسات تؤكد أن نسبة الخيانة عند الرجل على المستوى العالمي، وحتى في المجتمعات الأقل الذكورية، أكثر من نسبتها عند المرأة. لتبقى ذكورية النظام العالمي كله على مستوى البنى التحتية والفوقية السبب الوحيد القادر على تفسير هذا؛ حتى إن بعضهم يعزو الخيانة إلى أسباب جينية، في حين أن الظاهرة تؤصل ثقافيًا وتاريخًيا حسب تطور البشرية حضاريا.

ظل الاعتقاد السائد إلى حدود القرن ١٩ أن العائلة قائمة على السيادة الذكورية الأبوية، لكن ذكورية المجتمعات الإنسانية ليست شكل الوجود الوحيد. فقديمًا وقبل بضعة آلاف السنين كانت المجتمعات أمومية؛ إذ إن المرأة استطاعت أن تفيد الإنسانية في أولى مراحل تطورها حين ربطت علاقة خاصة مع الطبيعة، فكانت أول من حاك جلود الحيوانات وأول من تعرف على خصائص الأعشاب وخاصة العلاجية منها. وكان للمرأة دور اجتماعي مهم. حتى بلغ احترام النساء في هذه المجتمعات حد التقديس والتأليه، وكانت المرأة رمز الخصوبة والحياة والجمال، وتشهد على ذلك ميثولوجيا كل الحضارات. من الممكن أن نقول إن كفة ميزان العلاقات كانت ترجح لصالح المرأة إلى حدود ثلاثة آلاف عام قبل الميلاد.

> “نسبة الخيانة عند الرجل على المستوى العالمي، وحتى في المجتمعات الأقل الذكورية، أكثر من نسبتها عند المرأة.”

أدلة وجود نوع آخر من المجتمعات تؤكد على أن طبيعة العلاقة بين المرأة والرجل تغيرت عبر الزمن ...كما أن مفهوم الارتباط نفسه تطور بتطور البشرية وبتغير مؤسسات المجتمعات. إذن لا يمكن أبدًا تبرير فعل الخيانة جينيا، خاصة وأن المجتمعات الأمومية وجدت منذ فترة قريبة. في حين أن التغير البيولوجي يمتد على الاف السنوات كما لا يوجد أي عامل قد يؤثر على جنسانية الرجل (ويكسبه حاجة جنسية أكثر) دون جنسانية المرأة

المرحلة الأمومية والتمهيد للسيطرة الذكورية

قبل ٢٠٠ ألف سنة اتخذ الإنسان شكله النهائي في إفريقيا، ثم ظهرت اللغة لتعزز التواصل وتبادل المعلومات والتجارب بين البشر. وقبل ١٠٠ ألف سنة بدأ الإنسان بالتحرك، وبين بداية العصر الجليدي (انتشار الإنسان في كل الأرض)،

مرورًا بنهاية العصر الجليدي (انعدام التواصل بين القارات) ووصولاً إلى ظهور أولى الحضارات، كان التفوق الجسدي للرجل يعطيه أفضلية القدرة على الاصطياد. هنا بدأ ينشأ تدريجيًا نوع من الوعي أو الرغبة الغريزية في السيطرة على أماكن الصيد لضمان القوت، وطوال آلاف سنوات الوجود ومع اختلاف أشكال العيش؛ إما في مجموعات كبيرة أو مجموعات أصغر، ومع الترحال المتواصل، ولضمان هذه السيطرة على موارد الغذاء أحس الإنسان بقيمة العدد؛ أي بأهمية أن يكون ذكور المجموعة كثرًا. فقدر الإنسان عملية الولادة أو الخلق وكانت المرأة الوحيدة القادرة حسب وعيه على الإتيان بهذه المعجزة. فكان جهل الرجل بما له من دور في عملية التلقيح هو ما أكسب المرأة هذه الحظوة المتزايدة.

وفي حدود ١٢ ألف سنة قبل الميلاد بدأ الإنسان في الاستقرار. هنا بدأ العصر الزراعي في إطار مجتمعي يسمى بالمشاعية الأولى؛ حيث تعيش مجموعة من الأفراد تربط بينها علاقة قرابة دموية ويحكمها عرف ذو قواعد بسيطة، وكانت وسائل الإنتاج بسيطة وبدائية؛ حيث كان من الضروري تجميع قدرات وكفاءات الكل، العلمية والعملية المحدودة، خدمة لمصلحة الأغلبية. أما علاقات الإنتاج فكانت تعتمد على الملكية الجماعية لوسائل الإنتاج (أدوات العمل، والأرض، والمساكن والأدوات الزراعية، الخ. أما الملكية الخاصة فكانت تقتصر على

حيازة الأسلحة والملابس والأواني المنزلية، فكانت كل موارد العشيرة/ القبيلة وأدواتها على ذمة كل أفرادها. هنا زاد الوعي بأهمية العدد وبضرورة استمرار النسل.

هنا نشأت المجتمعات الأمومية وأصبحت للمرأة مكانة أكبر. مع الوقت تزايد عدد الأفراد، وارتفعت القوى المنتجة وحصل فائض في الإنتاج أدى إلى بروز الملكية وظهور الاختلافات الاقتصادية. ومع ظهور العمل العبودي ازدادت الفروق بين الملكية الخاصة وانقسمت المجموعات، ولما دجّن الإنسان الحيوان وتم الانتقال من الزراعة إلى الرعي تمكن من فهم سر الولادة ووعي الرجل بدوره الأساسي في عملية استمرار النسل. هذه المعرفة كانت العنصر الرئيسي في الانقلاب الذكوري التي انقلبت بموجبها موازين القوى! حدث ذلك في عصر الكالكوليت أي ٥٠٠٠ سنة قبل الميلاد. ومع تكدس الثروات ظهرت النزعة الفردية لدى الرجال وقرروا سحب خيط النسل من المرأة بحيث لا يرث أرضًا ذكرٌ ما إلا من كان من نسله. كان ذلك عمليًا عبر التحكم في المرأة من خلال وضع حدود لنشاطها في المجتمع، ومحاولة السيطرة عليها وتقييدها.

> إن ذكورية المجتمعات هي نتاج عوامل اقتصادية بالأساس، هذه العوامل قلصت دور المرأة في الحكم والسياسة والقرار

في هذا السياق انطلق مختصون في دراسة حضارات بلاد الرافدين (السومرية والآشورية والبابلية) في دراسة اللغة السومرية، تقول ميادة كيالي: إن كلمة حب هي فعل مركب يعني حرفيًا قياس الأرض أي أن مؤسسة الزواج كانت قائمة على أسس اقتصادية. ولوضع أولى لبناته وظف المجتمع الذكوري مجموعة قوانين؛ منها الزواج الأحادي على المرأة، في حين تتعدد علاقات الرجل مع ما يتناسب وأهواءه. وفي هذا نجد تفسيرًا للأفضلية التي يتمتع بها العنصر الذكوري في الأديان التوحيدية على حساب المرأة. إن أدلة حدوث هذا الانقلاب بينة ساطعة؛ إذ توجد إلى اليوم بعض المجتمعات الأمومية الصغيرة، حتى أنه يمكن تفسير كل ما تعيشه البشرية الآن استنادًا عليه؛ فاستغلال جسد المرأة مقابل المال يجد أصوله في الفتوحات العسكرية في الألفية الثالثة قبل الميلاد؛ حيث تم استرقاق النساء واضطهادها جنسيًا.

ورغم أن الرجال هم من يرتادون منازل الدعارة، فإن الوصم الأخلاقي تعاني منه المرأة فقط. وعلى مر العصور كان رجال جميع الطبقات يرتادون منازل الدعارة ويسمحون لأنفسهم بكثرة العشيقات، في حين يفرض حصارًا على النساء، بل إن اللواتي ينتمين إلى الطبقات العليا لا تعرف أسماؤهن وتحفظ سيرتهن من كل لغو أو شبهة في وصاية على جنسانية طرف مقابل إطلاق الحرية لطرف آخر.

إن ذكورية المجتمعات هي نتاج عوامل اقتصادية أساسا، هذه العوامل قلصت دورها في الحكم والسياسة والقرار. ولضمان تواصل سيطرته استعان الرجل بمجموعة من التشريعات والقوانين التي أضفت على هيمنته شرعية اكسبتها قدسية، فيستعان مثلا بالأديان.

الانقلاب الذكوري من زاوية يسارية

طالما اعتبرت المادية أن الإنسان نتاج ما يعيشه من تجارب وما يربطه من علاقات اقتصادية واجتماعية. وعلى عكس الفلسفة الهيجلية المثالية، فإن نمط الإنتاج بما يحتويه من علاقات وأدوات إنتاج هو الذي يفرز البنية الفوقية من أفكار ومثل وثقافة وأديان وتشريعات. إذًا فقد أثر هذا المنوال الاقتصادي الذي يسيطر فيه الرجل على مجموع التصورات التي حكمت المجتمعات. وباعتبار أن العلاقة بين المادي والفكري هي علاقة تأثير وتأثر متواصلين، فإن الأفكار التي أنتجها هذا الواقع لم تكن سوى تردد لهذه الهيمنة، كما كانت العامل الذي أوجد دعائم تعزيزه وتركيز وجوده.

من هنا انطلقت كل من المؤسستين - الدينية والسياسية - في تقوية أسس هذه السيطرة وتشديد أعمدتها، فكان أول مظاهر ذلك أن كان الإله مذكرًا في الديانات التوحيدية. وإن كان كبير الآلهة كذلك في العصر الأمومي فقد وجدت إلهات مؤنثة. هذه السلطة لم تنحصر في نواة العائلة؛ بل انعكست على مجموعة أكبر وهي المجتمع. ورغم مرور آلاف السنوات، ورغم الفتوحات والحروب والمجاعات والكوارث الطبيعية والانتفاضات واندثار حضارات ودول، حافظ هذا النظام على ذكوريته يسانده في ذلك حتى العلماء والأدباء والمثقفون الذي كانوا أكثر حظًا في الولوج إلى العلم على عكس المرأة، والذين ساهموا في إكساب نزعة ذكورية عليه. ورغم لحظات الاختلاف بين المؤسسة العلمية والمؤسسة الدينية فإن الجامع الكبير بينهما هو شرعنة اضطهاد المرأة وخدمة رأس المال. في هذا السياق، نجد أن الرجال أكثر ميلا للخيانة، ويشهد التاريخ الحالي على تفاقم هذه الظاهرة بشكل مريع، وقد طور في فعل الخيانة شخصيات من أعظم من أنجبت البشرية فكرًا وأبداعًا. وليس من المبالغة أبدًا القول بأن إمكانية فشل العلاقة تفوق حظوظ نجاحها.

إن قضية المرأة هي من أكثر القضايا تجذرا في التاريخ، وأبوية النظام ليست خاصية أنتجها رأس المال؛ بل هي واقع كل العصور وظفها النظام لتدعيمًا لركائزه. في هذا الإطار يجد الرجل نفسه في وضعية تطيح وتسمح له بالخيانة خاصة إذا كان صاحب مكانة في المجتمع وذا سلطة أو مال.

إدمان الجنس..
عندما تتحول الغريزة إلى مصدر خطر

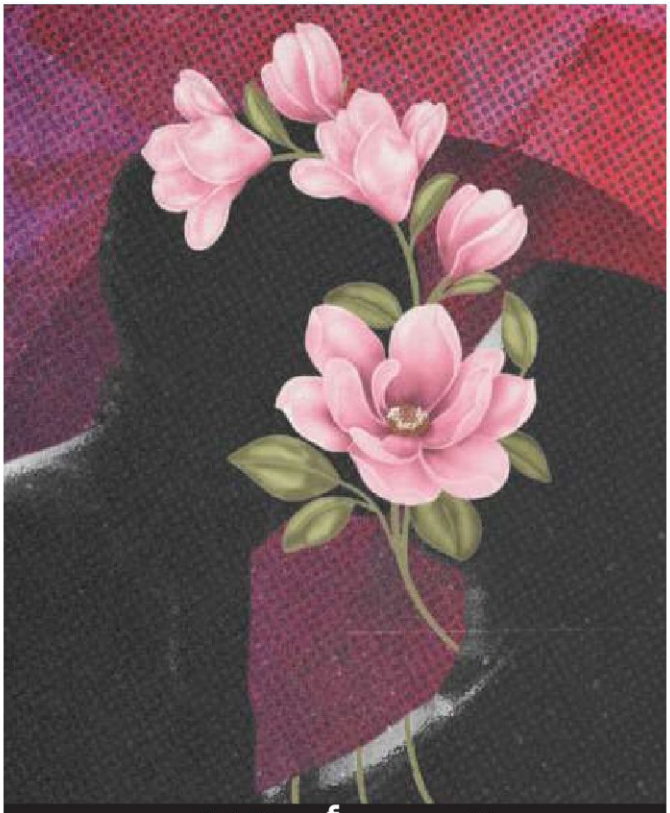

عبد الرحمن أبو الفتوح
كاتب

ما سبق ليست مبالغة؛ إنما لمحة من تجربة عاشتها إحدى مدمنات الجنس، وهي أم بريطانية لثلاثة أطفال، عصف إدمان الجنس بحياتها ودمر علاقاتها الاجتماعية، وتحول الجنس إلى شيء لا تستطيع الخلاص من التفكير فيه؛ فكل شيء حولها يذكرها به، وتفسر ما حدث بأنه مرتبط بمعاناتها من الاكتئاب ونقص هرمون السيروتونين، ولم تكن النتيجة النهائية للأسف سارة فقد انتهت علاقتها بزوجها على نحو غير متوقع.

لا تعد التجربة السابقة الوحيدة في عالم إدمان الجنس، فيحكي الشاب البريطاني غراهام كيف دفعه إدمان الجنس إلى خيانة زوجته مع المئات من العاملات بمقابل وصل إلى مئات الجنيهات الإسترلينية شهريًا، مما ولد لديه شعورًا مستمرًا بالذنب.

وحتى نقارب الصورة الحقيقية لإدمان الجنس، يصفه غراهام بأنه يشبه إدمان الكحول، فالمدمن يسقط في حلقة تزداد اتساعًا في عقله ويشعر بالنشوة وهو في العلاقة الجنسية لكن بعد ذلك تنقلب السعادة إلى ندم، لتتحول حياته إلى متتاليات بائسة لا تنتهي.

ونظرًا لأن معظم البشر يرون الجنس من الأشياء التي لها تأثير إيجابي على الحياة؛ فهم لا يفهمون بسهولة كيف يمكن أن يتحول إلى إدمان يؤدي بصاحبه إلى الجحيم، وهذا الفهم المجتمعي السائد ساهم للأسف في قلة الجهد البحثي تجاه هذا النوع من الإدمان، لكننا سنحاول الوصول إلى جذوره وتحليلها وتقديم الحلول الممكنة له أيضًا.

تعددت المسميات والأثر واحد

وفقًا للباحثين في الصحة النفسية؛ فإن إدمان الجنس يتم التعبير عنه باستخدام مسميات متعددة مثل: فرط الرغبة الجنسية، أو اضطراب السلوك الجنسي القهري أو الهوس الجنسي، وجميعها مصطلحات تهدف إلى وصف سلوك الشخص الذي يفقد السيطرة على رغبته الجنسية.

وتتنوع الأشكال التي تظهر من خلالها حالة عدم السيطرة لتشمل الاستمناء المفرط واستهلاك المواد الإباحية بانتظام، وممارسة الجنس عبر الهاتف أو الإنترنت وكذلك الانخراط في العلاقات مع العاملات في الجنس.

وقد ذُكر مفهوم إدمان الجنس للمرة الأولى من جانب الدكتور الأمريكي باتريك كارنز المتخصص في علاج إدمان الجنس في كتابه "الخروج من الظل": فهم إدمان الجنس" الصادر في منتصف الثمانينات، والذي برهن من خلاله على أنه رغم اشتراك إدمان الجنس في الأعراض مع اضطراب الوسواس القهري واضطراب السيطرة على الانفعالات، إلا أنه لا ينتمي إليهم بشكل متطابق فهو اضطراب نفسي منفصل.

ومن العوامل التي ساهمت في دخول إدمان الجنس دائرة الضوء في السنوات الأخيرة، كان ما حدث عام ٢٠٠٩ عندما صرح الممثل الأمريكي ديفيد دوشوفني بأنه يعاني من إدمان الجنس، رغم أنه كان متزوجًا ويظهر للجمهور أنه يحيا حياة أسرية سعيدة، وقد دفع إدمان الجنس دوشوفني إلى الدخول في رحلة لإعادة التأهيل والتعافي.

إدمان أم رغبة طبيعية زادت عن الحد؟

مثلما ذكرنا ينظر الكثيرون إلى الجنس على أنه أحد مباهج الحياة الصحية؛ لذا فلا ضير إن زاد قليلًا عن حده، إنما مسألة كونه ينقلب إلى إدمان؛ فحتى اليوم لا تحظى بالقبول على نطاق واسع، وذلك يؤثر سلبًا على المدمنين. فقد أجرى أحد المواقع الإلكترونية المتخصصة في تقديم المساعدة لمدمني الجنس استبيانًا لقياس نسبة المدمنين الذين ذهبوا إلى الطبيب النفسي، فكانت نتيجته أن ٩١٪ منهم لم يطلبوا المساعدة المتخصصة نهائيًا. وبحسب الطبيبة النفسية البريطانية أبيغال سان فإن السلوك الجنسي قد يحول الجنس إلى إدمان عند الأشخاص الذين يعانون من عدم القدرة على التحكم في أنفسهم، وبحد تحليلها فحينها يصبح الجنس من الأعراض الثانوية التي تعكس وجود مشكلات نفسية أكثر تعقيدًا مثل الاكتئاب واضطراب ما بعد الصدمة، ولا يكون سوى آلية للتكيف مع المعاناة النفسية، وتشير سان إلى أن تصنيف الاضطرابات الجنسية ذات الصلة بإدمان الجنس على أنها نوع من الإدمان لن يفيد بالضرورة من يعانون منها.

يعد الرأي السابق معتدلًا بالمقارنة مع ما يؤكده عالم النفس الأمريكي دايفيد لاي مؤلف كتاب "خرافة إدمان الجنس"، فهو يرى أن السلوك الذي يوصف بأنه إدمان للجنس غالبًا ما ينتج عن مشكلات مزاجية لم تعالج مثل القلق، وذلك يجعل من الصعب الاتفاق على أن إدمان الجنس اضطراب مستقل بذاته، ويثير الجدل بقوله إن النظر إلى الجنس والعادة السرية على أنها تتساوى مع إدمان المخدرات والكحول يبدو مثيرًا للضحك؛ فمدمنو الكحول قد يلقون حتفهم عند الإقلاع عن تناوله.

إلا أن الواقع ربما ينافي ذلك الرأي، فبحسب العديد من نماذج حالات مدمني الجنس فالأمر قد يصل بهم إلى حد ممارسة السلوكيات الجنسية الخارجة عن السيطرة في مكان العمل، مما قد يعرضهم للفصل وفقدان مصدر الدخل، وفي حالات متقدمة يدفعهم إدمانهم إلى الاغتصاب والقتل. وبرؤية علمية صريحة أشارت دراسة أجرتها كلية الطب بجامعة كونيتيكت إلى أن نظام المكافأة الذي ينشط عند إدمان الجنس هو نفسه الذي ينشط في حالات إدمان المخدرات، مما يؤكد أن إدمان الجنس يسير في نفس المسارات الفسيولوجية والنفسية للإدمانات التقليدية.

ما الذي يوصل مدمن الجنس إلى هذه المساحة المظلمة؟

رغم أن الأسباب الجذرية لإدمان الجنس ليست واضحة بما يكفي حتى اليوم، إلا أن خبراء الصحة النفسية توصلوا إلى مجموعة من الأسباب المحتملة، وفي مقدمتها أسباب عضوية بحتة مثل تشوه الفص الجبهي.

فوفقًا لدراسة نشرتها المجلة الدولية للصرع والسلوك فإن فرط النشاط الجنسي قد يترافق مع إصابات وأورام في الفص الجبهي والصدغي بالدماغ، وبالطبع تزداد الاحتمالية عندما يجتمع هذا المحفز مع تحديات نفسية أو اجتماعية. ويتشارك في العنصر العضوي عامل آخر يتمثل في تأثير بعض الأدوية، فبحسب ما توصلت إليه دراسة علمية نشرتها مجلة جاما العالمية، فإن بعض علاجات مرض باركنسون ارتبطت بزيادة أعراض السلوك الجنسي القهري. بالإضافة إلى عامل آخر وهو اختلال توازن المواد الكيميائية الطبيعية في الدماغ مثل السيروتونين والدوبامين والنورابينفرين، وجميعها مواد تنظم الحالة المزاجية يكون ارتفاعها مثيرًا للانخراط في السلوكيات الجنسية القهرية.

وإذا ما انتقلنا إلى الجانب النفسي سنجد أن الحالة النفسية تلعب دورًا محوريًا في دفع الشخص نحو إدمان الجنس، فالصدمات النفسية في مرحلة الطفولة بالأخص المتعلقة بالجانب الجنسي والنشأة الجافة الخالية من المشاعر،

واضطرابات الصحة العقلية الأخرى مثل القلق والاكتئاب تكون محفزًا لا يستهان به لإدمان الجنس،

على سبـــــيل المثال الأشخـــاص الذين تم تشخيصهم بالاضطراب ثنائي القطب يكون لديهم ميل نحو الهوس، مما يجعلهم أكثر عرضة للانخراط في الأنشطة الجنسية الخطرة دون خوف من العواقب الكارثية التي قد تنتج عنها.

متى تضيء الإشارة الحمراء معلنة الوصول لإدمان الجنس؟

توجد عدة أعراض لإدمان الجنس تختلف في حدتها لكن وجود بعضها يشير إلى أهمية طلب المساعدة، فمثلًا يعاني مدمن الجنس من عدم القدرة على التحكم في رغبته الجنسية، لتكون النتيجة سلوكيات جنسية متكررة بشكل مرضي، ويوصله هذا النمط الجنسي غير الصحي إلى الاصطدام بمشكلات في مناحي أخرى من حياته؛ سواءً في العمل أو في حياته الاجتماعية والزوجية، وينطلق في سباق لا نهاية له وراء الأنشطة الجنسية، ورغم أنها لا تشعره بالرضا عن حياته إلا أنه لا يستطيع التوقف عن ممارستها.

وذلك يذهب به إلى مرحلة أعقد بمعاناته من مشاعر القلق أو الخزي أو الاكتئاب، وقد تظهر عليه علامات الاكتئاب السريري وأحيانًا التفكير في الانتحار، وهذا بالطبع متصل بحالة العزلة التي سيكون قد وصل إليها بعدما تخلى عن واجباته الوظيفية والأسرية بشكل كبير. وتوجد أعراض أخرى لإدمان الجنس وفقًا للخبراء النفسيين مثل الإفراط في الاستمناء بشكل قهري، بالأخص إذا كانت الممارسة تتم في أوقات غير مناسبة أو بشكل ينتج عنه ألم جسدي، وأحيانًا يخرج الأمر عن السيطرة أكثر لتظهر سلوكيات محفوفة بالمخاطر مثل الاستمناء في الأماكن العامة أو ممارسة الجنس دون وسائل وقائية، فيزيد ذلك من احتمالية الإصابة بالأمراض المنقولة جنسيًا.

هل من سبيل إلى علاج؟

يبدأ علاج إدمان الجنس بعمل تحليل لشخصية المدمن وجمع المعلومات الكافية عن طفولته وحالته الصحية والأسرية والمهنية؛ بهدف الوصول إلى حقيقة ما إذا كانت هناك اضطرابات نفسية أخرى يعاني منها؛ مثل الاكتئاب أو القلق أو تعاطي المخدرات. وتهدف هذه المرحلة الأولية إلى تحقق التشخيص السليم وعلاج المشكلة من جذورها، وهناك عدة أساليب لعلاج إدمان الجنس، منها إعادة تقييم الأفكار المشوهة التي تقف وراء الممارسات الجنسية القهرية، ومن ثم العمل على التحكم فيها.

ويلجأ بعض المعالجين النفسيين إلى نهج العلاج النفسي الديناميكي الذي يركز على علاج الصعوبات العاطفية للمدمن، والتي غالبًا ما تكون قد نشأت في مرحلة الطفولة، وأحيانًا يتم اللجوء للأدوية النفسية التي تعالج الاضطراب ثنائي القطب لدورها في تقليل الحوافز القهرية المرتبطة بالأنشطة الجنسية.

أما في المراحل المتقدمة لإدمان الجنس فيُستعان بمضادات الأندروجين للعمل على تقليل الرغبة الجنسية، أو يُطلب من المريض الدخول إلى مصحة نفسية فترة لا تقل عن شهر حتى يستعيد السيطرة على رغبته الجنسية.

حبوب منع حمل للرجال..
محطات نسوية في طريق المساواة الجندرية

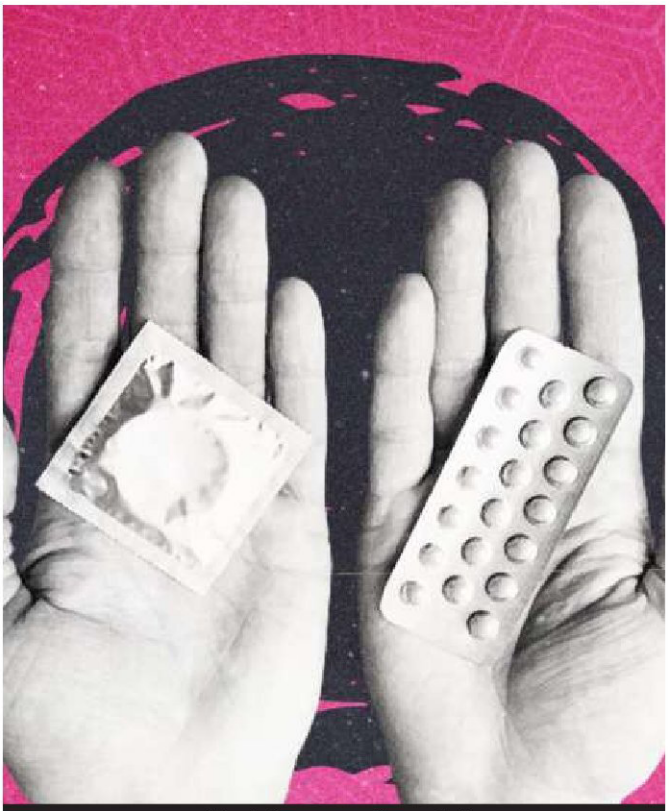

فاروق محافظ
كاتب وصحفي

في وقتٍ ما، كانت قيودنا البيولوجية تحتم علينا العلق في حلقات أدوارٍ اجتماعية محددة تحددها هذه الأدوار. وفي مجتمع الإنسان الجامع، زعيم المجموعة هو أقواها جسديًا وأقدرها على مواجهة بقية أفراد المجموعة وفرض زعامته بالقوة، وأضافت لهذه الأدوار مزيد من الأفكار الماورائية في تعميق فكرة الزعامة وجعلها أكثر قبولًا؛ فهيئتنا الجسدية وجيناتنا المتوارثة تحدد أدوارنا الاجتماعية في الجماعة. وكجنسين ذكورًا وإناثًا، تحدد قيودنا البيولوجية أدوارنا في الحياة بشكلٍ عام.

تؤصل نظرة إنجلز بأن الأبوية كائن اجتماعي طارئ على المجتمع الإنساني، عمّد حضوره ظهور الملكية الخاصة إبان الثورة الزراعية في تاريخ الإنسان العاقل. واكتشاف الإنسان العاقل للزراعة واستقراره جغرافيًا، من وجهة نظر يوفال هراري، أنهى صورة اجتماع الإنسان الجامع وبدأت معه صورة اجتماع جديدة دجنت فيه الزراعةُ الإنسان. تبع ذلك ظهور الملكية الخاصة التي زادت على أعباء الإنسان من تحديد قيوده البيولوجية لمصيره الاجتماعي، لتضيف إليها عوامل جديدة تتمثل في الإرث والملكية، وهي عوامل، -بالإضافة للأبعاد الطبقية التي أسست لها في المجتمع الإنساني- تركت أثرها على قيمة المرأة ككائن أكثر من تأثيرها على الذكر.

في منتصف القرن العشرين، ظهرت سيمون دي بوفوار، وبشكلٍ غير مهملٍ لدور الملكية الخاصة، ولكن مقللًا من قدره الذي تهوّله الاشتراكية، لتؤكد أكثر على دور القيد البيولوجي في تحديد الأدوار الجندرية والقيمة الإنسانية للجنسين. في ممارسة العلاقة الجنسية قد تنتهي الأعباء البيولوجية للرجل حال وصوله للنشوة، لكن المرأة في حاجة للاستعداد لأعباء جسدية ونفسية ستقرر مصيرها الاجتماعي وحالتها الصحية وفرصها للنجاة.

تسعة أشهر من الحمل والحاجة للعناية تتبع العلاقة الجنسية مع الرجل، ثم ظهور عبءٍ أكبر مع الإنجاب في حال كانت الأم قادرة على النجاة. في آخر المطاف، تنتهي عالقةً في مهام رعاية واحدٍ من أكثر أطفال الثدييات حاجةً للرعاية التي تطول لسنين قبل أن يصبح قادرًا على رعاية نفسه.

في كتابها الجنس الثاني، ترى دي بوفوار أنه رغم تأثير ظهور الملكية الخاصة على المرأة؛ فإن القيد البيولوجي الذي يظهر الفوارق البيولوجية بين المرأة والرجل ينعكس اجتماعيًا على الأدوار التي تحدد القيمة الإنسانية لكلا الجنسين. قيود الحمل والإنجاب وفارق القدرة مع الذكر جعلت من المرأة أكثر ارتباطًا بالمهام المنزلية المتعلقة برعاية وخدمة الأسرة والأطفال، في الوقت الذي استطاع الرجل تجاوز هذه القيود مع اكتشاف النار والثورة الزراعية وما تبعها من تحولات في قيام الحضارات الإنسانية، ليتسيد النظام الأبوي في المجتمع، وتصبح المرأة فيه كائنًا يفتقر للقيمة الإنسانية. هنا تقدم دي بوفوار مسألة كسر القيد البيولوجي بمثابة الخطوة الأولى في إعادة توزيع الأدوار الجندرية وتحقيق المساواة بين الجنسين.

الثورة الصناعية

مثّل الفارق البدني الذي يعتمد عليه الرجل في قضاء أعمال المهام اليومية، الذي تفتقر المرأة لها جسديًا للقدرة على أدائها كما يؤديها الرجل، كقيدٍ بيولوجيٍ آخر، عائقًا آخر أمام تحقق هذه المساواة وإعادة توزيع الأدوار في الحياة العامة أو تصنيفها جندريًا. ويرى إنجلز بأن الآلة تقلص هذا الفارق، كانت الثورة الصناعية واختراع الآلة البخارية فصلًا جديدًا في إعادة تعريف دور المرأة في المجتمع البشري، إذ إن الآلة لا تعتمد على القدرة البدنية التي كانت ترجح فيها الكفة لصالح الرجل، وتبقي المرأة عالقةً بالمهام المنزلية والرعاية.

على الرغم من الآثار السلبية التي قد يراها المتشائمون من النظام الرأسمالي، أو الآثار الإيجابية التي يرويها نظراؤهم، مثّل القرن السابع عشر نقلةً في حياة المرأة الأوروبية وبقية الشعوب، لتستطيع المشاركة في مهام خارج أدوار الإنتاج المنزلي غير المدفوع الأجر، لتنخرط المرأة في سوق العمل، بل وحتى المشاركة العسكرية في الجيوش التي أصبحت تعتمد على الأسلحة والتقنيات الحديثة أكثر من اعتمادها على القدرة الجسدية في الوقت الحالي.

لكن، وفي ذات السياق، ما زالت المرأة عالقةً أيضًا في ذات القيد البيولوجي الذي يربطها بأدوار الإنجاب والرعاية الأسرية المرتبطة بالدور الاجتماعي. الجنس، الحمل، الإنجاب، الرعاية، قيود لا زالت هي العامل الأساسي في تحديد قيمتها الإنسانية وتوزيع الأدوار الجندرية، وفي منتصف القرن العشرين، كان الحل الثوري في الطريق.

الثورة على قيد الحمل والإنجاب

في العام ١٩٣٧، اكتشف الأطباء تأثير هرمون البروجسترون الأنثوي الفعال في منع حدوث الحمل. على الرغم من ذلك، كانت طريقة تعاطي الهرمون عبر الحقن وتكلفته المرتفعة تمثل عائقًا أمام انتشار الوسيلة الجديدة والمضمونة في منع الحمل.

> العام 1955، كـــان العالم أمام اكتشاف لا يقـــل في ثوريته عن الثورة الزراعيـة والصناعية، نقطة تحولٍ في إعـــادة توزيع الأدوار الجنـــدرية وكـــسر القيـــود البيولوجية التي تحد من مشاركة المرأة في الحياة العامة

قياسًا على رؤية سيمون دي بوفوار، فإن حبوب منع الحمل تظهر هنا كاكتشاف الإنسان للزراعة وكسر الرجل لقيدٍ بيولوجي يجعله عالقًا في حلقةٍ بيئية للعيش، لتكون وسيلة المرأة لكسر القيد البيولوجي الذي جعلها عالقةً بصورةٍ أكبر في نمط حياة المهام المنزلية وأدوار الرعاية. وعلى الرغم من هذا الدور في هذه المقاربة التي يمكن رؤيتها في منظور دي بوفوار حول أثر القيد البيولوجي والقول الاشتراكي بأن الرأسمالية قيدت المرأة في المهام المنزلية غير المدفوعة، يقول ميشيل فوكو في دراسته للجنسانية بأن الرأسمالية في تحويل المجتمعات الأوروبية على سبيل المثال جعلت من الأسرة بشقي جنسها أسرة عاملة تستدعي مشاركة المرأة في الانتاج. لكن بالتأكيد، وفرت أقراص منع الحمل فرصةً ثورية لتغيير هذا النمط للأبد، ومحطةً في كسر المرأة قيودها الطبيعية.

في هذا العام أعلن عالم الأحياء الأميركي جريجوري بنكوس عن اكتشافه لتركيبة منع الحمل التي يمكن تناولها كأقراص عن طريق الفم وبتكلفةٍ منخفضة وسهلة. لتنتشر حبوب منع الحمل في الأسواق بحلول العام ١٩٦٠ وتغير حياتنا بشكل درامي.

وجدت الحركة النسوية بمختلف توجهاتها مزيدًا من الزخم لاحقًا؛ حيث أعاد ظهور حبوب منع الحمل توزيع الأدوار الأسرية ونسبة مشاركة المرأة في الجامعة والتخصصات التي كانت حكرًا على الذكور، وكذلك سوق العمل. تشير كلوديا جولدن ولورنس كاتز في دراسة بجامعة هارفارد تحمل عنوان "حبوب منع الحمل وقرارات عمل وزواج المرأة" أن اكتشاف حبوب منع الحمل وتصنيعها في شكلها المتعاطى فمويًا صنع تحولًا في حياة المرأة الأميركية؛ حيث تباعدت معدلات الولادة، كما تباعدت سنوات الزواج، على العكس منها المعدلات العمرية للزواج قبل ظهور حبوب منع الحمل، فيما ازدادت معدلات النساء الملتحقات بالجامعات وسوق العمل، وبالتالي مشاركة نسائية أكبر للرجل في سوق العمل.

لن نتحمل كلفة ذلك وحدنا

مع اكتشاف الثورة الزراعية، تحملت المرأة عبء المشاركة في الأعمال الزراعية في الحصاد والزرع في معظم المجتمعات إلى جانب الرجل، وارتبطت أكثر بالمهام المنزلية التي تقيدها بها قيودها البيولوجية. ومع ظهور الملكية الخاصة، تحملت المرأة عبئًا آخر؛ إما في منعها من الزواج، أو حصره داخل الأسرة والقبيلة وحرمانها من ميراثها في الملكية. انعكست هذه القيود التي كانت تفرضها حركة الحضارة والقفزات التي تحققها في حياة البشر في صور نمطية عن المرأة تجردها من القيمة الإنسانية لها ككائن بشري لجنسٍ آخر، جنسٍ ثانٍ. في الوقت نفسه، كان الرجل في هذه الحركة يتحدى الطبيعة ويتغلب على أقدارها التي كانت تحكم على أسلافه بالعجز وقبول المصير الذي تحتمه عليه قوانينها. لكن ما الذي يمكن أن يتغير الآن في واقع المرأة؟ لن تتحمل عبء كسرها لقيدها وحدها.

في لقائها الربيعي مارس العام الحالي، أعلنت الجمعية الكيميائية الأميركية عن التوصل لحبوب منع الحمل للذكور ونجاح تجاربها على الفئران بنسبة ٩٩٪ دون أعراضٍ جانبية. ومن المتوقع أن تبدأ التجارب البشرية لهذه الحبوب بحلول النصف الثاني من العقد الحالي. نجاح هذه التجارب قد لا تقل آثارها بشكلٍ ثوري عن تلك مطلع ستينات القرن الماضي التي انعكست في تحولات اجتماعية واسعة غيرت من نمط حياة المرأة، وشكلت محطةً مهمة في تاريخ الحراك النسوي. كلفة كسر هذا القيد لم يعد مسؤولية خاصة بالمرأة وحدها، فهل سيتحمل الرجال هذه الأعباء كما فعلت المرأة في محطات سابقة من تاريخ الحضارة البشرية؟

مخاوف ليلة الدخلة:

النساء بين كشوف العذرية وسيطرة المجتمع الذكوري

• شيماء اليوسف

في بريد الجمعة لعبد الوهاب مطاوع بجريدة الأهرام، خلال حقبة التسعينيات، روى قصة ملخصها؛ أن موظفًا ينتمي إلى إحدى القرى في ريف مصر، تقلد إحدى الوظائف بالمدينة، وعندما فكر في الزواج قال في نفسه إن بنات المدن بلا حياء، وهذا ما دفعه للزواج من القرية، فهناك عائلات محافظة. تزوج واصطحب زوجته إلى المدينة، لكنه اكتشف أن الزوجة لم تكن بالأخلاق التي تخيل أن تكون عليها، والسبب هو طلب الزوجة الزائد للعلاقات الجنسية، وهذا ما دفعه للشك في أخلاقها، حتى أنه تكلم مع صديق مقرب له عن خصوصياته مع زوجته والشكوك التي تأكل عقله من ناحيتها وطلب منه مراقبتها، بعد فترة لاحظ أن زوجته امتنعت عن طلب ممارسة الجنس إلا لو طلب منها وهذا ما جعل شكه يزداد، وظل يسأل نفسه ما هي أسباب تغيرها، وهنا قرر أن يراقبها بنفسه.

فاكتشف أن صديقه المقرب الذي طلب منه مراقبة زوجته، أصبح صديق الزوجة الجنسي؛ هذه القصة ربما تشير إلى تفسيرات واضحة إلى تفكير الرجل الشرقي، فالمجتمع يرى أن من العيب أن تكون للمرأة غريزة جنسية من الأساس، أو يكون لها تفضيلات جنسية، بسبب الخوف من أن يكون لها علاقات سابقة، وكلما كانت ثقافة المرأة الجنسية متدنية كلما حصلت على صكوك أعلى من الأخلاق والتربية.

وفي هذا التقرير نستعرض رؤية خبراء العلاقات الأسرية والاجتماعية العرب حول هذه المسألة.

هل علينا تدريس التربية الجنسية لأبنائنا ؟

تقول أسماء مراد، -مدربة على الوعي الأنثوي وأخصائية في علم اجتماع المرأة-، إن المجتمعات العربية تربي أبناءها على التعتيم للثقافة الجنسية التي يجب أن يعرفها الشاب والفتاة قبل الزواج، والتي لابد وأن يبدأ تدريسها وتعليمها لهم في سن المراهقة. وتضيف: يجب أن تكون هناك تربية جنسية تعلم الشباب والشابات كيفية التعامل مع البلوغ الجنسي، لأن المعتقدات والأعراف القديمة حطمت هذه الثقافة ووضعتها في مأزق أخلاقي كبير، إذ أننا نجد من شروط الأخلاق أن تكون الفتاة التي لم يسبق لها الزواج ليس لديها ثقافة جنسية من أي نوع.

تكلمت (س, ص) -امرأة في منتصف العقد الخامس-، وتنتمي إلى محافظة المنيا، عن رغبتها في إنجاب طفل، وهذا الأمر بالطبع مشروط بإقامة علاقات جنسية مع زوجها، لكن زوجها لا يطلب منها إقامة علاقة، وهي لا تجد في نفسها القوة لتطلب منه هذا الحق الشرعي لها، إذ ترى أنه من العيب أن تطلب مثل هذا الطلب من زوجها وتخشى أن يراها امرأة بلا حياء.

تعلق أخصائية علم اجتماع المرأة، على هذه القصة بأن تلك الأفكار انتقلت إلى المرأة بسبب وأد الأنوثة وزراعة المجتمع مخاوف لدى الفتاة من أنوثتها، ومن التفكير فيها، وتشرح البداية الفكرية التي تصل بالمرأة إلى هذا الحد من الحرج، إلى السد المنيع الذي وضعته الأعراف الاجتماعية الرجعية، والتي بموجبها منعت المدرب الأول والمؤهل النفسي والجنسي الأول في حياة الفتاة وهي أمها، على التواصل معها وشرح المفاهيم الجنسية والعلاقات الجنسية وكل ما يتعلق بها كثقافة إلى ابنتها، وتضيف، فنجد أن الأمهات يرفضن الحديث مع بناتهن عن الجنس، بل ويحذرن الفتيات من الحديث عن الجنس، لأنه كبيرة من الكبائر الأخلاقية، ولا يجب أن تفتح الفتاة هذا الصندوق الأسود حتى مع زوجها بعد الزواج، حتى إن المرأة المتزوجة لا تسمح لنفسها بالحديث عن الجنس مع زوجها بسبب الأفكار التي حملتها قبل الزواج وبسبب مخاوف في داخلها من أن يراها زوجها عديمة الأدب؛ فتتحول المرأة إلى خادمة تلبي رغبات البيت والأسرة فقط.

لماذا تخاف الفتيات من ليلة الدخلة؟

تحكي (ن ، ع) أنها ذهبت قبل زواجها بفترة بسيطة إلى طبيب نساء، وكان سبب الزيارة هو الاطمئنان على عذريتها أي أنها مازالت آنسة، وأخبرت الطبيب أن بقع من الدم قد وجدتها في ملابسها الداخلية بعدما سقطت من فوق سطح منزلهم، وأخبرها الطبيب أن كل شيء على ما يرام، لكن ماذا كان يحدث إن لم تكن آنسة؟ تقول: (ن ، ع) أنها وبكل بساطة كان سيتم قتلها، وهذا يؤكد الذعر التي تعيش فيه الفتاة لو سبق لها تجربة جنسية قبل الزواج، أو تعرضت لحادث أصاب هذا المنطقة ببعض السوء، فإن لم تؤدِ الغرض المطلوب ليلة الدخلة وتنزف الدماء على سرير الزفاف قد يصبح مصيرها الموت، رغم أن الرجل قد تسبق له العديد من العلاقات الجنسية قبل الزواج ولا أحد يجرؤ أن يعاتبه، وإن كان شرف المرأة بين

فخذيها؛ فأين يا ترى شرف الرجال؟!

يقول الدكتور أحمد علام، استشاري العلاقات الأسرية والصحة النفسية، مخاوف الفتاة من ليلة الدخلة تنقسم إلى قسمين:

الأول يتعلق بالشعور اللإرادي لدى الفتاة؛ إذ يرى أن بعض الفتيات يخفن من الحمل والإنجاب وما سيحدث بعد ذلك، وهذا يدفع الفتاة للخوف من قيام العلاقات الجنسية مع الزوج، وهي مشاكل نفسية حقيقية، مشيرًا إلى المعلومات الخاطئة التي تتداول بين الفتيات بخصوص العلاقات الجنسية تجعلها خائفة وتدفعها للهرب من العلاقة نفسها. كما لفت "علام" إلى مخاوف الفتاة من الرجل الذي تعيش معه نفسه خاصة عندما يكون الزواج قد تم بدون رغبة منها، كما لفت إلى تجارب الفتاة السيئة السابقة مثل تعرضها للتحرش الجنسي الذي يسبب لها عقدة وخوفًا مختزنًا إلى جانب المشاكل الصحية التي تصيب بالتحديد المهبل وتجعل الفتاة خائفة من العلاقة، وهناك بعض الفتيات مصابات بالرهاب من الذكور ما يدفعهن للخوف من اقتراب الذكور منها وتحديدًا عند العلاقة الجنسية.

ويعود استشاري العلاقات الأسرية والصحة النفسية، إلى السبب الثاني الذي يدفع الفتاة للخوف من ليلة الدخلة، هو خوف متعمد تظهر الفتاة مخاوف مقصودة، ويرتبط ذلك بمخاوف الفتاة في مجتمعاتنا من إظهار ثقافتها الجنسية حتى لا توصم بالعار، إذ تدعي الجهل حتى لو كانت في عمر النضوج الفكري، ويشير إلى اكتساب الفتاة خبرات من قصص صديقاتها المتزوجات والذي ينتج عنه تكوين الرغبة في التجربة وانتظار ليلة الدخلة، لكنها تمتنع عن إظهار ذلك خوفًا من ظنون زوجها التي قد تصل به إلى الشك في ممارستها للجنس من قبل، إلى جانب الشك في أخلاقها وعدم احترامها لجسدها، لذلك فإنها تدعي الجهل بالجنس وتدعي الحرج ويؤكد علام،

أن الكثير من الفتيات ينصحن صديقاتهن المقبلات على الزواج بألا يندفعن على الزوج ليلة الدخلة ولا يظهرن حاجتهن الجنسية ويتعاملن أنهن جاهلات تمامًا ولا يعرفن أي شيء عن الجنس.

من جانب آخر يتحدث علام، عن دور التنشئة الأسرية في تكوين الثقافة الجنسية أو إعدامها لدى الفتيات؛ حيث إن الفتاة تتربى على ثقافة العيب، الذي يعتبر الحديث عن الجنس انحلالاً أخلاقيًا، والحل من منظور علام، هو تدريس التربية الجنسية، حتى يتفهم الدارس أن طلب الزوجة للجنس ليس عيبًا ولا يقلل منها في شيء، كذلك فإن تدريس التربية الجنسية يزيل مخاوف الفتاة من هذه الثقافة ويجب نشر الدورات الثقافية التي تساهم في توعية الناس بالثقافة الجنسية.

الختان والخوف من ممارسة الجنس

بعض النساء اللائي تعرضن للختان يخفن من ممارسة العلاقات الجنسية، بسبب الصدمة النفسية التي تسيطر عليهن ومخاوف أخرى من الآلام التي قد تعيشها الواحدة منهن نسبة إلى الألم الجسدي والنفسي الذي تعيشه الفتاة بعد إجراء عملية الختان.

تعتبر الباحثة المغربية فدوى خلاء استشاري التنمية البشرية والصحة النفسية، أن ليلة الدخلة من التابوهات المسكوت عنها حتى الآن، لكن الخوف يصيب الرجل والمرأة على حد

السواء، وهذا يرجع إلى الموروثات الثقافية المغلوطة داخل مجتمعاتنا العربية، وتضيف، حولت الثقافة العربية ليلة الزفاف، من ليلة الفرح والمشاعر، إلى مزيج من المخاوف المزيفة، كذلك يمكن أن نتطرق إلى ثقافة العيب والحشمة التي لازالت مسيطرة حتى الآن في مناطق معينة من كل بلد عربي، وكذلك داخل المجتمعات العربية وهذه الثقافة تدخل بين الأم وابنتها المقبلة على الزواج، لأنه كان من الممكن أن تقدم لها نصائح وتكون السبيل الآمن للحصول على المعلومة، لأن العديد من الأمهات يرفضن الحديث عن الجنس مع بناتهن بسبب ثقافة العيب.

> ليلة الدخلة من التابوهات المسكوت عنها حتى الآن، لكن الخوف يصيب الرجل والمرأة على حد السواء

كما تحدثت "خلا"، عن فوبيا الآلام التي تصاحب العديد من الفتيات قبل الزواج، رغم أن الكثير من البحوث العلمية أكدت أن غشاء البكارة هو غشاء رقيق وتوجد به بعض الشعيرات الدموية البسيطة، وأن عملية فضه لا تستحق كل هذا الكم من المخاوف، لكنها مرتبطة فقط بالثقافة الفكرية السلبية والمغلوطة والمسيطرة داخل المجتمعات.

وترى أن المخاوف من الزواج وليلة الدخلة يتشارك فيها الرجل والأنثى، حتى إن كان الرجل لا يظهر أي مخاوف؛ لكنه من الداخل يعيش نفس مخاوف الفتاة، ولذلك تنصح قائلة: يستوجب على الفتاة أن تتخلص من المشاكل النفسية التي تستحوذ على تفكيرها قبل الزواج ، حتى الذكور أيضًا يحتاجون إلى الاستعداد النفسي للزواج والابتعاد عن الخرافات والأساطير المؤلفة وعدم الأخذ بها.

هل تولد بعض الفتيات دون غشاء البكارة؟

تجيب "خلا"، على هذا السؤال موضحة أن تنوع أشكال غشاء البكارة بين الأغشية المطاطية التي لا يمكن فضها بسهولة، والأغشية العادية، مضيفة إلى ذلك أن هناك فتيات يولدن بدون غشاء من الأساس، وتؤكد خلا، أن تدريس التربية الجنسية للرجال تجعل الرجل لديه دراية مسبقة عن أنواع أغشية البكارة حتى لا يقع في مأزق مستقبلًا، وتضيف أنه يمكننا في المستقبل أن نتخلص من الثقافة الرجعية المنتشرة في الكثير من المجتمعات العربية؛ وذلك عن طريق استغلال التكنولوجيا الحديثة لتوصيل المعلومات إلى الشباب بشكل مباشر وغير مباشر، فيمكن أن نلاحظ اختفاء الأساطير والخرافات القديمة التي أضاعت حقوق المرأة ورفعت من سلطة الرجل عليها.

وعن ازدواجية الرجل الشرقي في النظر للعذرية وأهميتها بين فتيات الشرق والغرب يوضح علام، أن الرجل العربي يظن أن زواجه من امرأة أجنبية يساهم في تحسين صورته الاجتماعية، ويرى أنه ذو قيمة كبيرة، بغض النظر عن تجاربها الجنسية السابقة التي لا يهتم بها ولا يسأل عنها من الأساس ولا يعتبرها سيئة الخلق أو منحرفة، ويرى أن زواجه من أجنبية شيء مرموق ونقلة نوعية تحدث في حياته بسبب الاستفادة المادية التي ستعود عليه، لذلك فهو يقبل ببعض التنازلات التي لا يمكن قبولها على الفتاة العربية، ولأن المرأة الغربية مجهولة بالنسبة لمجتمعه ولعائلته كذلك فإن المجتمعات الغربية ليس لديها أعراف ثقافية تحرم ممارسة الجنس بدون زواج، بخلاف الثقافات في البلدان العربية.

الزواج التقليدي وتعزيز سيطرة المجتمع الذكوري

تؤكد "خلا"، أن الموروثات الاجتماعية والثقافية المغلوطة السلبية ليست وحدها التي تدفع الفتاة للخوف، بينما تناولت شرح سيطرة المجتمع الذكوري في مجتمعاتنا العربية التي تتيح للرجل الحق في التحليل والتحريم،

في الوقت الذي يحجم فيه هذه المجتمعات مختلف حقوق المرأة، وتضيف، مجرد أن تقوم المرأة بالإفصاح عن رغبتها الجنسية، غالبا ما يسيطر العقل الذكوري الفاسد، إذ يظن الرجل أن لهذه المرأة لديها تجارب جنسية سابقة أخذت منها التجربة، بالرغم من أن المعلومة في الوقت الحالي أصبح الحصول عليها أمرًا ممكنًا؛ فيمكن لأي فتاة أن تحصل على كافة المعلومات التي تتعلق بمختلف المجالات من خلال نوافذ البث الإلكترونية، لكن العقل المتحجر للرجل الشرقي هو الذي يجعله يفكر بهذه الطريقة السلبية، ويعني ذلك أنه كلما كانت المرأة متفتحة ولديها معلومات عامة عن الثقافة الجنسية ظن بها الرجل سوءً.

من زاوية قانونية، يقول محمد عبدالرحمن، -محام حر-، إن الكثير من قضايا الطلاق التي وُكلت إليه، من قبل سيدات، كانت بسبب الشكوك غير المنطقية التي وردت عن أزواجهن وفق دوافع لا مبرر لها، ويرجع عبدالرحمن، ذلك إلى الزواج التقليدي، الذي يحدث بدون سابق إنذار بين الطرفين، ولا يوجد بينهما أي ثقافة متبادلة، مما ينتج عنه رهبة وخوف من قبل الزوجة على وجه التحديد، وشكوك من قبل الزوج، إذ يرى أن الزواج التقليدي يعد علاقة قشرية تتعرض للكسر من أقل خدش يصيبها، في الوقت نفسه يؤيد المعرفة السابقة قبل الزواج التي تكسر الكثير من الحواجز على حد تقديره.

" وأنا اللي فاكرك مؤدبة" جملة قالها اللمبي، "محمد سعد" إلى نوسه "حلا شيحا" في أحد مشاهد فيلم اللمبي، ٢٠٠٢، حينما ظن أنها تفكر في الجنس، عندما اكتشفت بالخطأ أنه يخونها قبل الزواج ببضعة أيام، جملة بسيطة توضح مفهوم الأدب الذي يجب أن تتحلى به الفتاة في مجتمعاتنا، وهو البعد عن الجنس وعدم التفكير فيه وعدم الاقتراب من هذا السرداب إلا ليلة الدخلة وعليها أن تتصنع كثيرًا وتظهر مشاعر غير حقيقية لزوجها حتى يتأكد أنها شريفة عفيفة طاهرة، حتى وإن لم يكن هو بالأساس طاهرًا وشريفًا، لكن.. إلى متى تظل هذه الأفكار الظالمة سائدة داخل كل مجتمع عربي؟ إلى متى يتوجب على الفتاة أن تبقى سجينة الأعراف الظالمة؟

أونلي فانز OnlyFans:

كيف غيرت التكنولوجيا صناعة البورنوجرافيا؟

• محـــمد هـــلال

في الفيلم الوثائقي hot girls wanted لـ جـــيل باير ورونا جرادوس والمعـــروض على نتفلـــــيكس، تستعرض المخرجتان الآليات المتبعـــة لاجتذاب الفتيات للعمل في صناعة الترفيه الإباحي من خلال عرض تجارب حقيقية لفتيات سابقات وأخريات ما زلن يعشن تجربة الدخـــول في صناعة البورنو جرافيا، كمـــا يسلط الفيلم الضـــوء على معاناة هؤلاء الفتيات في تلك الصناعة وطرق استغلالهن جنسيًا.

عن طريق وكلاء لشركات الإنتاج الإباحي ومن خـــلال شبكات التواصل الاجتـــماعي مواقع الإعلانات كـ "كريجزليســـت" وغيرهـــا، وعبر إعلانات توظيف "عارضات" بمبالغ مالية من غير الممكن أن تتقاضاها فتاة صغيرة ذات مستـــوى تعليمي متواضع، يتم استـــدراج الفتيات حال بلوغهن السن القانونية.

حلم الشهرة والسفر بعيدًا عن القرية أو المدينة الصغيرة، الثراء السريع والهروب من رقابة الأهل، كل تلك الأمـــور تدفع الفتيات لخوض التجربة، نسبة قليلة منهن تتمكن من أن تصبح نجمة إباحية وتحافظ على نجاحها، الأخريات يخرجن من الصناعة سريعًا بعد تقديم بضع مقاطع إباحية بمقابل مادي في متوسط الألفين دولار للفيلم الواحد، بعد ذلك تبدأ سلسلة التضحيات بدءً من قبول أنواع فانتازيا وخطيرة صحيًا في المحتوى الجنسي المصور، وهو علامة على نهاية المشوار المهني في الترفيه الإباحي، تستمر سلسلة التنازل تدريجيا، تستدين لأن العمل لا يغطي تكلفة الحياة الجديدة، لتخضع في النهاية تحت رحمة قواد وتنخرط في العمل كبائعة هوى.

> الفيلم من إنتاج العام 2015، تأسست OnlyFans في العام 2016، فكيف غيرت شكل صناعة الترفيه الإباحي للأبد؟

ما هي OnlyFans؟

هي منصة تواصل اجتماعي كفيس بوك وتويتر وإنستجرام، لكنها تتميز عن المنصات السابقة بسمتين رئيسيتين؛ الأولى أنها على عكس تلك المنصات؛ لا تضع قيودًا على المحتوى، والسمة الثانية هي إمكانية تقديم الخدمة مقابل اشتراك مادي.

يقوم المشترك إذا كان صانع محتوى بتقديم محتواه من صور وفيديوهات؛ أيًا كان المضمون، مع غلبة المحتوى الجنسي، ويقوم المتابعون في حال رغبتهم مشاهدة المحتوى المقدم من قبل صانع محتوى معين، بدفع رسوم عضوية شهرية تتراوح بين ٥-٥٠ دولار لكل صانع محتوى.

> كما تتيح المنصة تقديم خدمات خاصة مقابل "هبة مالية" يقدمها المتابع لمقدم المحتوى، كأن يطلب صورًا أو فيديوهات في أوضاع خاصة أو في ظروف معينة، بناءً على ذوق أو مزاج طالب الخدمة/المتابع.

تتقاضى المنصة ٢٠٪ على كل معاملة مالية، ويتحصل مقدم المحتوى على ٨٠٪ كصافي أرباح، بحسب influencer marketing hub، بلغ عدد مشتركي الموقع/المنصة ٣٠ مليون مشترك، و٤٥٠ ألف صانع محتوى، كما دفعت الشركة ٦٠٠ مليون دولار أرباحًا لصناع المحتوى حتى الآن.

في البدء كان شريط الفيديو

لا تخلو حضارة من اهتمام بالجنس واهتمام بالمواد الإباحية، فقط يختلف الوسيط باختلاف الإمكانات التكنولوجية المتاحة، ربما بردية تورينو الإباحية، تلك البردية التي اكتُشفت في مطلع القرن التاسع عشر بدير المدينة في طيبة، والموجودة في المتحف المصري بتورينو إيطاليا الآن، البردية التي تصور رجلاً مع نساء مختلفات في أوضاع جنسية مختلفة، هي أقدم مادة إباحية عُثر عليها حتى الآن، ويرجع تاريخها لحقبة الرعامسة حوالي العام ١١٥٠ قبل الميلاد. أغلب الظن أنها كانت ملكًا لأحد الأثرياء، أو كتالوج في منزل للبغاء.

> بعد ظهور السينما بسنوات قليلة، أو الصور المتحركة كما أطلق عليها في البداية، تم إنتاج أول مادة إباحية مرئية عبر هذا الوسيط الجديد. في العام 1896 أُنتجت أول مادة إباحية في فرنسا مدتها سبع دقائق، عُثر على الدقيقتين المتبقيتين منها في الأرشيف الوطني الفرنسي في العام 1996.

كانت ستينيات القرن العشرين هي ذروة صالات السينما التي تعرض محتوى إباحيًا جنسيًا، رغم ذلك لم تكن صناعة البورنوجرافيا قد استقلت عن صناعة السينما، واتخذت ملامحها حتى اختراع جهاز الفيديو المنزلي وانتشاره في سبعينيات وثمانينيات القرن العشرين، حيث يمكن بيع آلاف النسخ من الفيلم الواحد على طول البلاد دون الحاجة لانتظار صالة عرض سينمائية شاغرة تقبل بعرض نسخة واحدة من الفيلم.

بعد اختراع DVD أواخر التسعينيات وانتشار أجهزة الكمبيوترات الشخصية وإمكانية تخزين محتوى أكبر من المواد على قرص صلب، وانتشار خدمات الدفع نظير المشاهدة على الكابلات التليفزيونية راجت وانتشرت صناعة البورنوجرافيا، حتى ظهر الإنترنت.

الإنترنت.. عصر جديد للبورنو جرافيا

في بداية ظهور الإنترنت وانتشاره السريع لم يكن أي من رجال الصناعة يتوقع أن يغير الإنترنت من شكل الحياة وأنماط الاستخدام وآليات الاقتصاد الرأسمالي الصناعي التقليدي والمستقر من عشرات، ربما مئات، السنين. لم يلاحظ -إلا القلة- أننا نعيش لحظة تاريخية، لحظة ولادة وتشكل ثورة جديدة، الثورة التكنولوجية.

> في السنوات الأولى من عمر الإنترنت، مكّن منتجي المواد الإباحية المصورة من الوصول إلى عدد أكبر من المستهلكين، عن طريق شبكة الإنترنت والممتدة باتساع العالم، دون تكلفة أقراص صلبة أو تكلفة لوجستية، كانت الصناعة في ذروة رواجها حتى ظهر "يوتيوب"

مع ظهور يوتيوب وانتشار فكرة البث على الإنترنت "Online Streaming" وليس فقط رفع وتحميل المواد من خلال الإنترنت، ظهرت الكثير من الشركات الصغيرة التي استخدمت نفس التقنية لنشر المحتوى الإباحي في مواقع شبيهة باليوتيوب في فكرته، لكن مخصصة للمحتوى الإباحي فقط.

لم يكن أصحاب تلك المواقع الإلكترونية في حاجة لإنتاج محتواهم الخاص، بل سرقة محتوى شركات البورنوجرافيا التقليدية وبثه على الإنترنت. امتازت تلك الفترة بغياب التشريعات والقوانين المنظمة لعمل الإنترنت، ولحداثة العهد به وفرادة ما يخلقه من إشكاليات جديدة يعيشها السوق الأمريكي للمرة الأولى.

لم تكن صناعة البورنوجرافيا فقط المتأثرة سلبًا من تلك التكنولوجيات الجديدة والحديثة، عاشت صناعة الإنتاج الفني الموسيقي نفس الخسائر؛

فمع ظهور خدمة نابستر الإلكترونية، والتي أتاحت الملفات الموسيقية بشكل مجاني بتقنية سميت تقنية الند للند، وهي عملية تبادل الملفات والبيانات بين جهازين شخصيين على شبكة الإنترنت، إلا أن نابستر تعرضت للمساءلة القانونية من قبل شركات الإنتاج الموسيقي التي استخدمت نفوذها الهائل على دوائر صنع القرار؛ الأمر الذي لم يتمكن منه منتجو الترفيه الإباحي.

ظهرت في النهاية شركات كبرى احتكرت أغلب المواقع الإلكترونية التي تقدم محتوى الترفيه الإباحي بتقنية البث المباشر عبر الإنترنت. تلك المواقع ابتكرت نموذج عمل جديد؛ فمن خلال الاعتماد في الإنتاج على شركات متناهية الصغر أو وسطاء إنتاج بتكلفة إنتاج متواضعة وعبر استخدام هواة بصورة متجددة كبطلات في تلك الأفلام، حققت تلك الشركات المحتكرة أغلب الأرباح، ولم يبق للوسطاء وصناع المحتوى سوى فتات الأرباح.

أونلي فانز.. الصغار يربحون الجائزة

اعتمدت أونلي فانز في نموذجها التجاري على معاملين جديدين في عالم الترفيه الإباحي؛ الأول هو رغبة المشاهد في الفانتازيا لا العري، والفانتازيا متعددة ومتنوعة بعدد البشر ولا يمكن حصرها في قوائم وتصنيفات، كما تفعل مواقع البث الإباحي على الإنترنت في أفلامها،

والعامل الثاني هي قدرة الإنترنت المبهرة على تحقيق تواصل مباشر، دون وسطاء ولا شركات بين مقدم المحتوى ومستهلكه. فاكتفت بتقديم المنصة بصورة مجانية لصناع المحتوى، ولا تتكسب من بيع بيانات العملاء ولا من الإعلانات كيوتيوب وفيسبوك مثلاً، لكن اكتفت بدورها كوسيط له الحصة الصغرى من الأرباح، ولصانع المحتوى القادر على التواصل المباشر مع المستهلك، وتلبية تصوراته الفانتازيا، نصيب الأسد.

الأمر المغاير في استعراض OnlyFans وصناعة الترفيه الإباحي كنموذج هو قدرة التكنولوجيات الحديثة على قلب التراتبية الاقتصادية الهرمية، وكسر امتصاص أصحاب الأعمال لأغلب الأرباح المتولدة من العملية الإنتاجية. ربما يمتد هذا الأثر لأنشطة اقتصادية أخرى، ويولد حالة جديدة وعلاقة جديدة بين العامل وصاحب رأس المال.

نبض

شبكة مواطن الإعلامية

ما بعد الخطوط الحمراء

المملكة المتحدة - لندن